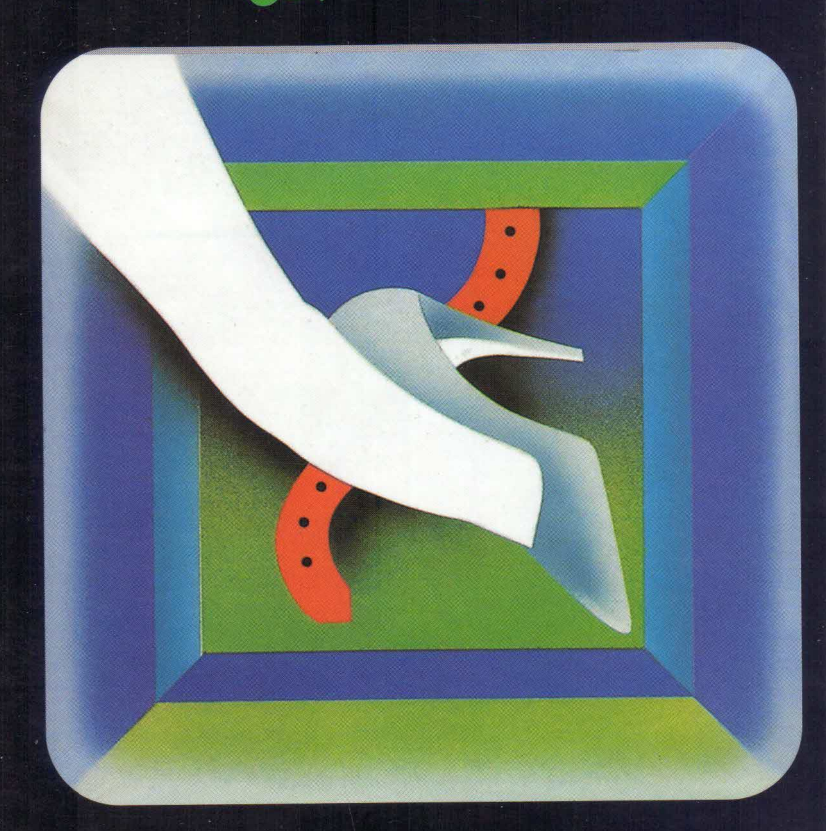
أرسين لوبين

الجائزة الكبرى



مغامرات "أرسين لوبين"

● نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس.

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	5$	CanadA
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	1.5	U.K
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	15F.F	France
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١،٥ د	1200Drs.	Greece
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	1.5 P.	CYPRUS

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

الجائزة الكبرى

(٢٢)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

موريس لبلان

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

- ١ -

١٠٠ مليون فرنك

قلت لصديقي "لوبين":

- حدثني عن نفسك يا "لوبين" ..

فاجاب "لوبين" وهو يسترخي في مقعد وثير في غرفة مكتبي:

- بماذا تريدني أن أحدثك ؟

- قد سمع الناس عنك الكثير .. لكنهم لايعلمون إلا القليل . إنهم يقرأون في الصحف انك سطوت على هذا المكان أو ذاك .. وانك امطت اللثام عن هذا اللغز..وحسمت تلك القضية . ولكنهم لا يعلمون التفصيلات الدقيقة الواقعية لكل مغامرة . وذلك ما يهمهم معرفته أكثر من أي شيء آخر .

- إنها تفصيلات تافهة لا تهم احدا في كثير او قليل .

- كيف ذلك ؟ إن الناس يتساءلون لماذا قدمت نصف مليون فرنك هدية لزوجة "ديجوفال" .. فهل ذلك أمر تافه لا يثير الدهشة والفضول ؟ ثم هناك لغز الصور الثلاثة .

فكيف بالله اهتديت إلى حله ؟

فضحك "لوبين" وأجاب :

- نعم لقد كان هذا اللغز طريفا حقا . وفي استطاعتي ان اقترح له عنوانا إذا كان في نيتك أن تنشره على الناس ..ما قولك في عنوان "علامة الظل" ؟

- عنوان مثير .. ثم هناك مغامراتك في المجتمع . ومع الجنس اللطيف .. فلماذا تهمل مذكراتك واعترافاتك يا عزيزي"لوبين" ؟ أعتقد انه آن الأوان لنشرها وإذاعتها ..

* * *

دار هذا الحديث بيني وبين "لوبين" حين كانت شهرته قد ذاعت فعلاً .

ولكنه لم يكن بعد قد قام باضخم مغامراته .. وخاض اعنف معاركه .
وحين كان نشاطه مقصورا علي عمل كثير من الشر .. وقليل من الخير.
وصمت "لوبين" . ولكني الححت عليه . ولشد ما دهشت حين قال لي:
- خذ ورقة وقلما ..
ففعلت وانا اكاد اطير فرحا .. فقد توهمت انه سيملي علي فورا ذكرياته عن بعض المغامرات التي لم تصل بعد إلى علم الجمهور ، والتي يهمني - كمؤرخ لاعماله ونشاطه - أن اسجلها في كتاب يكشف عن نواح يجهلها القراء من أمر هذا الرجل العجيب .
قال :
- هل أنت على استعداد ؟
- نعم .
- إذن فاكتب هذه الأرقام : ٢٠ - ١ - ١١ -٥ - ١٤ - ١٥ .
- ما هذا ؟
- اكتب هذه الأرقام وساوضح لك معناها .
وكان قد اعتدل في جلسته . وارسل بصره إلى النافذة .وراح يحرك لفافة تبغ بين اصابعه .
واستطرد :
- واكتب ٢١ - ١٤ - ١٤ - ٥ .
وتوقف لحظة ثم استطرد :
- واكتب ٣ - ٥ - ١٩ - ١٩
ثم بعد صمت قصيرآخر قال :
- اكتب ٥ - ١٨ - ٢٥ .
وذهبت أسال نفسي .. ترى ماذا دهاه ؟ هل أصابه مس من الجنون؟
ونظرت إليه بحدة . ولاحظت أن النظرة الشاردة التي كانت في عينيه منذ لحظة قد تلاشت .. وأن حدقتيه ضاقتا كما لو كان بسبيل تركيز افكاره وخواطره .. أو كما لو كان يرى شيئا يثير فضوله واهتمامه .
استطرد وهو يتمهل قليلا بين كل رقم والذي يليه :
- واكتب ١٨ - ٩ -١٩ - ١١ - ١٩ .
وارسلت بصري عبر النافذة متتبعا نظرته . فلم ار في الناحية

الأخرى من الشارع غير بيت قديم مغلق النوافذ ..

وليس في هذه النوافذ ما يلفت النظر أو يثير الاهتمام .. فهي هي كما رايتها مرارا خلال السنوات الأخيرة دون ان يطرأ عليها تغيير او تبديل.

استطرد :

- اكتب ١ - ٢ .

وفجاة فهمت .. او خيل إلي انني فهمت .. إذ كيف يمكن لرجل مثل "لوبين" عرف دائما بالاتزان ورجاحة العقل أن يضيع وقته عبثا في إملاء أرقام لايبدو أن لها معنى على الإطلاق ؟

ذلك انني لاحظت انه إنما كان يعبر بهذه الأرقام عن إشارات ضوئية من اشعة الشمس تنعكس على الطابق الثاني من البيت المقابل .

استطرد :

- ١٥ - ١٢ .

ثم اختفت الإشارات بضع دقائق .. وعادت للانعكاس على البيت المقابل مرة اخرى بطريقة منتظمة . وعلى فترات متساوية . وأخيرا اختفت نهائيا .

وكنت قد احصيت هذه الإشارات ، فقلت قبل أن ينطق "لوبين" بعددها:

- ٥ .

فابتسم وقال ساخرا :

- هل عرفت السر ؟ دعني أهنئك .

ومشى إلى النافذة .. وأطل منها . وخيل إلي انه يحاول معرفة مصدر هذه الإشارات .. ثم عاد إلى مقعده الوثير وهو يقول :

- الآن . يجب أن تقوم انت بإحصائها ..

ولعله أدرك أنني - بحكم الفضول الذي استولى علي -. لن اخطئ في إحصاء تلك الإشارات الضوئية الغامضة .

وكان من الواضح أن مصدر الإشارات لابد أن يكون أحد البيوت التي تقع في صف بيتي .. كما لو ان أحداً يفتح باب دولاب من زجاج ويغلقه على التعاقب بطريقة منتظمة. أو ان شخصا يلهو بالتلويح

بمرآة صغيرة تحت أشعة الشمس.

قلت بعد لحظة ، وقد ضايقتني مراقبة هذه الإشارات التي لايبدو أن لها نهاية:

- لاشك أنها من عبث بعض الأطفال.

- لاباس .. استمرفي إحصائها وتسجيل الأرقام .

فاطعت . وظللت احصي الإشارات الضوئية واسجل عددها على الورقة ، كل ذلك والإشارات تتعاقب بطريقة منتظمة دقيقة .

وانقضت اخيرا بضع دقائق دون أن أسجل رقما ، فقال "لوبين" :

- ماذا حدث ؟

- لاشيء .. إنني لا أرى الإشارات .. وأكبر الظن أن الطفل قد كف عن عبثه.

وانتظرنا بعض الوقت . حتى تاكدنا من ان الإشارات لن تعود . وحينئذ قلت مازحا :

- أظن أننا أضعنا وقتنا على غير طائل .. ولم نظفر إلا بطائفة من الأرقام لا معنى لها .

فقال "لوبين" دون أن يتحرك من مقعده :

- أرجو أن تضع أمام كل رقم من هذه الأرقام . الحرف الذي يقابله من الحروف الأبجدية . على اعتبار أن حرف (أ) يقابله رقم (١) وحرف (ب) يقابله (٢) وهلم .. هل فهمتني ؟.

- ولكن هذا سخف .

- ربما . ولكن لا تنس أننا في حياتنا نفعل أشياء سخيفة كثيرة .

وبدأت في تحويل الأرقام إلى حروف وأنا شديد التبرم والامتعاض . ولشد ما أدهشني حين فرغت من تحويل الأرقام الأولى أن وجدت أمامي كلمتين. هما :

"لاتقدم"

فهتفت :

- يا إلهي .. إنهما كلمتان واضحتان ..

- امض في عملك .

فمضيت في عملي .. وزادت دهشتي حين رأيت أمامي عبارة واضحة

المعنى..

قال "لوبين" بعد لحظة :

- ماذا وجدت ؟

- وجدت شيئا عجيبا . ولكني الاحظ بعض اخطاء في الهجاء .

- لاباس . اقرأ ببطء .

فقرأت العبارات التالية التي لم يتم معناها :

"لا تقدم على مخاطرات لاضرورة لها .. وتجنب الهجوم . واتصل بالعدو في حذر شديد . و ..."

قلت وانا اضحك :

- هذا ما وصلنا إليه .. اعترف معي يا "لوبين" بان المسالة لاتعدو أن تكون مجرد عبث ودعابة . فهذه العبارات لا تعني شيئا على الإطلاق.

فنهض "لوبين" واقفا .. وتناول الورقة وراح يتاملها دون أن ينطق بكلمة .

واذكر انني نظرت إلى ساعتي في تلك اللحظة . فوجدتها الخامسة و ١٨ دقيقة .

وكان "لوبين" واقفا ، والورقة في يده ، ووجهه إلى النافذة ..

فرأيت على ملامحه ذلك الغموض الذي طالما ادهش كل من عرفه ، واتصل به، وقد عرفت في تقاطيع وجهه علامة لم تخطئ أبدا . هي أنه كان يقطب حاجبيه قليلا كلما أراد تركيز أفكاره .. وقد رأيت هذا التقطيب في تلك اللحظة، ووضع "لوبين" الورقة على المكتب وغمغم :

- إنها لعب أطفال.

ودقت الساعة نصفا بعد الخامسة فهتفت :

- ماذا تقول؟ هل نجحت في حل اللغز .. خلال ١٢ دقيقة ؟

فاخذ يمشي في الغرفة جيئة وذهابا ، ثم أشعل لفافه تبغ وقال :

- أرجو الاتصال تليفونيا بالبارون "ربستاين" . وقل له إنني ساقابله هذا المساء في الساعة العاشرة .

- البارون "ربستاين" زوج البارونة المشهورة بهذا الاسم ؟

- نعم ..

- هل أنت جاد فيما تقول ؟
- كل الجد .
فزادت دهشتي. ولكني لم استطع عصيانه ، وبحثت في دفتر التليفون عن رقم البارون .. وعندما هممت بإدارة قرص التليفون ؟ أوقفني "لوبين" بإشارة من يده . وقال وهو ينظر إلى الورقة وكان قد تناولها مرة اخرى :
- كلا .. لا تقل له شيئا . إذ لا فائدة من إخباره ..
ولكن يوجد شيء آخر اهم .. شيء يحيرني . يا إلهي .. لماذا تركت العبارة الأخيرة ناقصة لم تتم ؟ لماذا ..
ثم تناول قبعته وهتف :
- هلم بنا .. وإذا لم اكن مخطئا فهذه مسالة يجب حلها فورا ، وانا أعتقد أنني غير مخطئ .
وتابط ساعدي ، وقال ونحن نهبط السلم :
- إنني أعرف عن البارون "ربستاين" ما يعرفه كل إنسان آخر، فهو مدير شركات . ومن اكبر هواة السباق وجواده "اتنا" قد فاز بالجائزة الأولى في سباق (الدربي) هذا العام ..
واعرف أيضا كما يعرف سائر الناس انه ضحية زوجته ..
فالبارونة "ربستاين" المشهورة بجمال شعرها ، واناقة هندامها وشدة إسرافها ، قد هربت من زوجها منذ اسبوعين ، واخذت معها ثلاثين مليونا من الفرنكات سرقتها من زوجها ، كما اخذت معها مجموعة ثمينة من الحلي والجواهر المملوكة للأميرة "دي برني" .. والتي كانت لديها بحجة معاينتها وفحصها وتقدير ثمنها تمهيدا لشرائها .
ومنذ اسبوعين . ورجال البوليس يبحثون عن البارونة في فرنسا ويتعقبونها في شتى انحاء أوروبا . وهي مهمة سهلة يسيرة .. لأن البارونة تبعثر الذهب والجواهر في كل مكان تمر به .
ومنذ يومين .. وفق احد رجال البوليس السري الفرنسي المشهورين .. واعني به المفتش "بيشو" . إلى إلقاء القبض في احد فنادق بلجيكا الكبرى على سيدة تنطبق اوصاف البارونة الهاربة عليها .. ثم اتضح

بعد ذلك ان هذه السيدة هي ممثلة مشهورة تدعى "نيللي داربال" .. أما البارونة "ربستاين" فإنها اختفت تماما .

وأما زوجها البارون .. فإنه أعلن عن خمسمائة الف فرنك جائزة لمن يجد زوجته الهاربة .. وهذه الجائزة هي الآن وديعة بين يدي محاميه . وفضلا عن ذلك فإنه باع خيوله الأصيلة الثمينة . كما باع قصره الفخم في شارع (هوسمان) وبيته الريفي في "روكنكود" لكي يعوض الأميرة "دي برني" عن خسارة جواهرها .

فقلت:

- لقد قرأت في الصحف أن ثمن هذه الأشياء جميعا سيدفع للأميرة فورا غدا .. ولكني اقول لك بصراحة إنني لا أجد أدنى صلة بين هذه القصة والعبارة الغامضة التي ..

ولكن "لوبين" هز كتفيه ولم يتكلم .

وكنا وقتئذ نسير في الشارع الذي يقع فيه بيتي . فمررنا باربعة أو خمسة بيوت ..

قلت وانا اشير إلى هذه البيوت :

- يخيل إلي أن الإشارات الضوئية صدرت من هذا البيت وربما من هذه النافذة المفتوحة .

- تعني النافذة التي بالطابق الثالث ؟

- نعم .

فقصد إلى بواب البيت الذي أشرت إليه . وسأله :

- هل بين سكان هذا المنزل من يعرف البارون "ربستاين" ؟

فاجاب البواب ;

- بالتاكيد .. فهنا يقطن مسيو "لافرنو" . وهو رجل ظريف يعمل وكيلا للبارون وسكرتيرا له . وانا اقوم بتنظيف شقته .

- هل نستطيع مقابلته ؟

- مقابلته ؟ لا اظن .. فالمسكين مريض جدا .

- مريض ؟

- نعم . إنه مريض منذ اسبوعين . أعني منذ حادث البارونة المؤسف . وقد عاد إلى بيته في اليوم التالي محموما ، ولزم فراشه منذ

ذلك الوقت .

- ولكنه يغادر فراشه في بعض الأحيان ؟

- لاعلم لي بذلك .

- ماذا تعني ؟؟

- إن طبيبه منع جميع الناس من الاتصال به .وقد اخذ مني المفتاح الذي كنت أستعمله في فتح باب الشقة لتنظيفها .

- من الذي فعل ذلك ؟

- الطبيب . إنه يعوده . ويجيب مطالبه مرتين أو ثلاثا كل يوم .. وقد غادر الشقة منذ عشرين دقيقة فقط ...

وهو رجل متقدم في السن يضع على عينيه نظارة .. ويمشي مقوس الظهر ولكن . إلى اين انت ذاهب يا سيدي ؟

فاجاب "لوبين" وهو يضع قدمه على درج السلم :

- إنني ساصعد إلى الشقة .. فارشدني إلى الطريق ..إن شقته في الطابق الثالث إلى اليسار . أليس كذلك ؟؟

فقال البواب وهو يعدو في اثره :

- لا أستطيع يا سيدي .. ثم إن المفتاح ليس معي .. والطبيب ..

وصعدنا السلم . إلى أن بلغنا باب الشقة . وهناك أخرج "لوبين" من جيبه أداة وضعها في ثقب القفل رغم احتجاج البواب.

وفتح الباب على الأثر ودخلنا .

* * *

ووقعت أبصارنا في نهاية الشقة على غرفة صغيرة مظلمة .ورأينا شعاعا من الضوء ينبعث من باب ترك مفتوحا .

فاسرع "لوبين" إلى تلك الغرفة . ولم يكد يصل إلى عتبتها حتى وقف جامدا وغمغم :

- لقد جئنا بعد فوات الوقت .

وترنح البواب وكاد يسقط على الأرض من فرط الفزع .

اما انا .. فقد دخلت الغرفة بدوري . ورأيت رجلا ملقى على الأرض وساقاه مطويتان تحته . ووجهه النحيل في لون الرماد . وعيناه تحملقان امامه في ذعر وهلع .

وهتف "لوبين" بعد ان فحصه فحصا سريعا .

- إنه ميت .

فصحت :

- ولكن كيف ؟ إنني لا ارى اثراً للدماء ..

- هو ذا الأثر ..

واشار إلى بقعة حمراء صغيرة على قميص القتيل.

واستطرد :

- لقد امسك احدهم بعنقه بإحدى يديه .. وطعنه في قلبه باليد الاخرى . باداة دقيقة .. لعلها إبرة طويلة .. لأن الثقب الذي احدثته دقيق للغاية .

وأجال البصر حول الجثة . ولم يجد شيئا فيما عدا مرآة صغيرة . لعل "لافرنو" كان يلهو بتحريكها تحت اشعة الشمس .

وهم البواب بالاستغاثة وطلب النجدة . ولكن "لوبين" القى بنفسه عليه . وصاح وهو يهزه بعنف :

- صه .. واصغ إلي .. في استطاعتك أن تطلب النجدة فيما بعد . اما الآن فاجبني .. إن لمسيو "لافرنو" صديقا في هذا الشارع . اليس كذلك ؟؟ وهذا الصديق يقيم في بيت في الجانب الآخر من الشارع .. هل كانت الصداقة بينهما قوية ؟

- نعم .

وكان الصديقان يتقابلان في المقهى مساء .. ويتبادلان الصحف والمجلات المصورة ؟

- نعم

- هل هذا الصديق إنجليزي ؟

نعم .

- ما اسمه ؟

- اسمه مستر "هارجروف" .

- أين يقيم ؟

- في رقم ٩٢ بهذا الشارع .

- سؤال أخير .. هل كان ذلك الطبيب الشيخ يعنى بامره منذ وقت طويل؟

- كلا . إنني لا اعرفه . وقد جاء في مساء اليوم الذي اصيب فيه مسيو "لافرنو" بالمرض .

* * *

ولم يزد "لوبين" على ذلك . وهبط السلم وثبا فتبعته . وما إن اصبحنا في الشارع حتى تحول يمينا . ومررنا ببيتي..

ووقفنا امام المنزل رقم ٩٢ .

كان منزلا صغيرا منخفض الطوابق . يشغل أحد التجار طابقه الأرضي وقد وجده "لوبين" واقفا بباب حانوته وهو يدخن فساله :

- هل مستر "هارجروف" موجود ؟

فاجابه الرجل .

- إنه خرج منذ نصف الساعة . وكانت تبدو عليه دلائل الاهتمام والانفعال . وقد استقل إحدى سيارات الأجرة .وهو ما لم يتعوده قبلا.

- وهل تعلم ..

فقاطعه الرجل وقد أدرك غرضه :

- إلى اين ذهب ؟؟ ليس هذا سرا . فقد سمعته يصيح بسائق السيارة بصوت مرتفع قائلا :

- اذهب بي إلى إدارة البوليس .

وفي الحال . استوقف "لوبين" إحدى سيارات الأجرة . ولكنه عاد فعدل عن غرضه. وهز كتفيه وغمغم :

- ولكن ما الفائدة . لقد سبقنا بوقت طويل ..

ثم سال صاحب المتجر . عما إذا كان أحد قد استفسر عن مستر "هارجروف" بعد انصرافه . فاجاب الرجل :

- نعم .. استفسر عنه رجل متقدم في السن يحمل في يده حقيبة صغيرة ويضع على عينيه نظارة . وقد قصد إلى شقة مستر "هارجروف" ودق الجرس ثم عاد على الفور .

- شكرا لك ..

وانصرف "لوبين" وهو يمشي ببطء . ولم يقل لي كلمة واحدة . وإنما كانت تبدو عليه دلائل التفكير العميق .

لم يكن ثمة شك في أن اللغز بدا له معقدا . محفوفا بالغموض الشديد قال لي:

- هذه إحدى القضايا التي تحتاج إلى إلهام اكثر مما تحتاج إلى تفكير . وهي تستحق عناء الاهتمام بها . وإماطة اللثام عن معمياتها.

* * *

ودخل "لوبين" إحدى المكتبات العامة . وقضى وقتا طويلا في مراجعة الصحف التي صدرت خلال الأسبوعين الأخيرين ..

وكان يغمغم بين الفينة والفينة :

- نعم . نعم . بالتاكيد . إنه مجرد ضيف . ولكن ذلك يوضح كل شيء . إن الإجابة التي توضح كثيرا من الأسئلة . تكون عادة أقرب الأشياء إلى الحقيقة .

وكان الليل قد أرخى سدوله . فتناولنا طعام العشاء في أحد المطاعم الصغيرة ولاحظت أن تقاطيع وجه "لوبين" قد انبسطت بالتدريج . وارتسمت في عينيه نظرة عزم وحزم واسترد كثيرا من مرحه . وحيويته ..

ولما غادرنا المطعم .. وسرنا في شارع هوسمان حيث يوجد بيت البارون "ربستاين" . كان "لوبين" قد عاد إلى سابق عهدي به . فصار رجل المغامرات الذي لايشق له غبار ..الرجل الذي حزم أمره على الانتصار .

وكان بيت البارون يقع على الناصية بين شارعي هوسمان وسان اونوريه وهو بيت يتالف من ثلاثة طوابق . وتحيط به الأشجار .

قال "لوبين" فجاة :

- قف .

- ماذا حدث ؟

- يوجد ثمة دليل آخر يؤيد وجهة نظري .

- أين هذا الدليل ؟ إنني لا أرى شيئا .

- إنني أراه .. وهذا يكفي .

ورفع ياقة معطفه . وأرخى حافة قبعته على وجهه .

واستطرد :

- ستكون معركة شديدة . فاذهب إلى فراشك يا صديقي . وساقص عليك كل شيء غدا . ذلك إذا لم أفقد حياتي في المعركة .

- ما هذا الذي تقوله ؟

- إنني اعرف ما انا قائل .. واشعر بخطورة ما انا مقدم عليه .. وأول الأخطار التي تتهددني هو أن يقبض علي ولكن ذلك لا يهمني كثيرا . والخطر الثاني أن أقتل . وهذا أسوأ ما في الأمر ولكن ..

ثم ضغط بيده على ساعدي واستطرد :

- ولكن هناك شيء ثالث اغامر من أجله .. هو مبلغ ٥٠٠ الف فرنك قيمة الجائزة .. ومتى وضعت يدي على هذا المبلغ فسيرى الناس ماذا أستطيع عمله.

طاب مساؤك يا صديقي . وإذا لم ترني مرة اخرى ..

وهز كتفيه .. ولم يتم عبارته .

وانصرفت إلى بيتي . وبعد ثلاث دقائق من انصرافه - وأنا أسرد القصة الآن كما حدثني بها "لوبين" فيما بعد - دق "لوبين" جرس باب البارون "ربستاين" . وسال :

- هل البارون موجود ؟

فاجاب كبير الخدم وهو ينظر إليه في دهشة :

- نعم . ولكن سيدي البارون لايقابل الزائرين في مثل هذه الساعة المتاخرة من الليل .

هل يعلم البارون بنبا مقتل مسيو "لافرنو" وكيله و سكرتيره ؟

- بالتاكيد .

- إذن ارجو ان تنبئ البارون بانني اريد مقابلته في صدد هذه الجريمة . وان الوقت لايسمح بإضاعة دقيقة واحدة .

وهنا انبعث صوت من احد الطوابق العليا . وكان صاحبه يقول :

- دع هذا السيد يدخل يا "انطوان" .

ففتح كبير الخدم الباب . ورافق "لوبين" إلى الطابق الأول .

وهناك رأى "لوبين" رجلاواقفا بباب إحدى الغرف . وادرك من الصور التي رآها في الصحف أن هذا الرجل هو البارون "ربستاين" . زوج البارونة المشهورة وصاحب الجواد (أتنا) اشهر جياد ذلك العام .

وكان البارون طويل القامة جدا .. عريض الكتفين ..

ووجهه الباسم لاينم عن الحزن العميق المرتسم في عينيه .

وكان يرتدي بذلة انيقة . ويزين رباط عنقه بدبوس ثمين .

ورافق "البارون" زائره إلى غرفة المكتب . وهي غرفة فسيحة محاطة بخزائن الكتب وفي احد أركانها مكتب انيق ، وخزانة كبيرة .

وجلس البارون وقال على الفور . دون أن يحاول إخفاء فضوله وقلقه:

- هل تعلم شيئا ؟

- نعم يا سيدي البارون .

- عن مقتل "لافرنو" المسكين ؟

- نعم يا سيدي. وعن البارونة ايضا .

- احقا تقول ؟؟ إذن افض إلي بما عندك وأسرع ارجوك .

وقدم مقعدا للزائر . فجلس "لوبين" وقال :

- إن الظروف والملابسات في غاية الخطورة يا سيدي البارون . وسأذكر لك الحقائق باختصار .

- نعم . ارجوك .

- إن الموقف بإيجاز . هو كما يلي : منذ ست او سبع ساعات . أرسل مسيو "لافرنو" .. الذي ارغمه طبيبه بطريقة ما على ملازمة بيته ما يشبه أن يكون رسالة برقية تتضمن معلومات خطيرة . وقد أرسل هذه الرسالة بواسطة إشارات لفتت نظري إلى هذه القضية . وحملتني على الاهتمام بها ..

وقتل وهو يبعث بالرسالة .

- ولكن من ذا الذي قتله ؟

- طبيبه .

- ومن هو هذا الطبيب ؟

- لا اعلم ، ولكنني واثق أن صديقا لـ "لافرنو" . وهو رجل إنجليزي يدعى "هارجروف" كان في الواقع المقصود بالرسالة .. أنا واثق أن هذا الصديق يعرف الطبيب كما يعرف معنى الرسالة . لأنه لم ينتظر نهايتها . ووثب إلى إحدى سيارات الأجرة .. وأسرع إلى إدارة البوليس.

- ولكن لماذا ؟ .. لماذا ؟ وماذا كانت نتيجة هذه الخطوة ؟

- النتيجة يا سيدي البارون . هي أن بيتك قد حوصر ..

ويوجد الآن اثنا عشر من جنود البوليس السري يرقبون نوافذ البيت وأبوابه ، ومتى طلع النهار . دخلوا البيت باسم القانون ، والقوا القبض على المجرم .

- هل تعني أن قاتل "لافرنو" مختبئ في بيتي ؟ ومن هو ؟

هل هو أحد الخدم ؟ ولكن لا . لايمكن أن يكون ذلك ..

فانت نفسك كنت تتحدث منذ لحظة عن أحد الأطباء على اعتبار أنه القاتل .

- اسمح لي أن أبدي ملاحظة يا سيدي البارون . وهي أن مستر "هارجروف" عندما ذهب إلى إدارة البوليس لينبئهم بمضمون رسالة صديقه "لافرنو" . لم يكن يعلم أنه سيقتل .

إن الخطوة التي اتخذها مستر "هارجروف" تتصل بمسالة أخرى ..

- باي موضوع ؟

- بموضوع اختفاء البارونة ، وهو يعرف سره بفضل رسالة "لافرنو" .

- ماذا ؟ هل عرف سر اختفائها أخيرا ؟ أين هي ؟؟ وأين الجواهر ؟ وأين النقود التي سرقتها مني ؟

وكان البارون يتكلم بانفعال شديد ، وازداد انفعاله ، فنهض من مكانه . وقال يحدث "لوبين" بصوت مرتفع أشبه بالصياح :

- اتمم قصتك يا سيدي إنني لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك .

فقال "لوبين" في هدوء وبلهجة المتردد :

- الحقيقة هي أن .... الواقع ... أن الإيضاح متعذر لأن كلامنا ينظر إلى الموضوع من ناحية مختلفة .

- لا أستطيع أن أفهمك.

- بل كان ينبغي أن تفهمني يا سيدي البارون . لقد ذكرت الصحف أن البارونة كانت تعرف أسرار عملك . وانها لم تفتح خزانتك الكبيرة هذه فقط ، وإنما فتحت كذلك خزانتك التي في بنك الكريدي ليونيه ، والتي تحتفظ فيها بما تملك من أسهم وسندات مالية .الم تذكر الصحف ذلك ؟

- بلى ذكرته .

- لقد حدث ذات ليلة منذ إسبوعين . بينما كنت انت في النادي أن باعت البارونة الأسهم والسندات دون علمك ، ثم غادرت هذا البيت ، وبيدها حقيبة تحتوي على نقودك وثمن السندات وجواهر الأميرة "دي ترني" .

ذلك أيضا ما ذكرته الصحف . أليس كذلك ؟

- بلى .

- ومنذ ذلك الوقت لم يرها أحد؟

- نعم .

- هناك سبب وجيه يبرر اختفاءها .

- ما هو ؟

- هو انها قتلت .

- البارونة قتلت ؟ لابد أنك مجنون .

- نعم . إنها قتلت . ويحتمل أن تكون قتلت في ذات المساء الذي قيل إنها هربت فيه .

- دعني اقل لك مرة أخرى إنك مجنون كيف يمكن أن تكون البارونة قد قتلت بينما رجال البوليس يتعقبونها خطوة فخطوة على حد قولهم.

- إنهم يتعقبون امرأة اخرى .

- أية امرأة ؟

- شريكة القاتل .

- ومن هو القاتل ؟

- هو نفس الرجل الذي علم منذ اسبوعين أن "لافرنو" بحكم مركزه في هذا البيت قد اكتشف الحقيقة . فحبسه في بيته ، وارغمه على الصمت . وهدده وتوعده ، وادخل الذعر على نفسه ، القاتل . هو نفس الرجل الذى ضبط "لافرنو" وهو يراسل صديقه الإنجليزي بالإشارات الضوئية ، فطعنه في قلبه طعنة قضت على حياته .

- هل تعني الطبيب ؟

- نعم

- ولكن من هو هذا الطبيب ؟ من هو هذا العبقري الشرير ، هذا المخلوق الجهنمي الذي يظهر ويختفي كما يريد .. ويرتكب جرائم القتل في الظلام . دون ان يهتدي إليه أو يرتاب فيه أحد ؟

- ألا تعرفه ؟

- كلا

- وهل يهمك أن تعرفه ؟

- يهمني ان اعرفه ؟؟ بالتاكيد.. بالتاكيد . تكلم يا رجل هل تعرف مكانه ؟

- نعم .

- هل هو مختبئ في هذا البيت ؟

- نعم .

- وهل هو الذي يبحث عنه البوليس .

- نعم .

- من هو .

- أنت .

- أنا ؟

* * *

وهكذا بدات المبارزة بين الرجلين ، ولم ينقض على اجتماعهما اكثر من عشر دقائق .

كانت التهمة التي قذف بها "لوبين" في وجه البارون صريحة.حاسمة قاسية.

استطرد :

- إنك تنكرت بلحية مستعارة . و نظارة. واحنيت ظهرك لكي تبدو شبحا متقدما في السن . صفوة القول..

إنك ذلك الطبيب الذي قتل "لافرنو" . انت ولا احد سواك ..

لسبب واحد بسيط ووجيه . هو انه إذا لم تكن انت الذي دبرت الخطة وانفذتها فإن اللغز لايكون له تفسير أو حل . ومتى افترضنا انك القاتل. وضحت لنا اسباب الجريمة وحوافزها . فانت قتلت البارونةلتتخلص منها وتفر بالنقود والجواهر مع امراة اخرى . وقتلت "لافرنو" لتحول بينه وبين الوشاية بك . ذلك يفسر كل شيء اليس كذلك ؟؟ وانت نفسك مقتنع بهذا التفسير .

وكان البارون طول الوقت واقفا امام مكتبه ينصت إلى حديث "لوبين". وينتظر بفروغ صبر كل كلمة ينطق بها .

فلما فرغ "لوبين" من حديثه . رفع البارون راسه ..ونظر إليه كما لو كان ينظر إلى مجنون حقا . ثم اخذ يمشي في الغرفة جيئة وذهابا . ويبدو عليه كانه يريد ان يقول شيئا .. والظاهر انه عدل اخيرا عن الكلام .. لانه لم يلبث ان قصد إلى الموقد . وقرع جرسا.

ولم يات "لوبين" بحركة . وانتظر وهو يبتسم .

ودخل كبير الخدم فقال له البارون :

- في استطاعتك ان تذهب إلى فراشك يا "انطوان" ..

ساتولى انا إرشاد هذا السيد إلى الطريق عندما ينصرف .

- هل أطفئ الأنوار يا سيدي؟

- دع النور في الصالة .

وانصرف كبير الخدم .. وأخرج البارون من درج مكتبه مسدسا وضعه في جيبه . وسار إلى حيث كان "لوبين" وقال في هدوء :

- معذرة عن هذه الحيطة يا سيدي .. فإنما لجات إليها خوفا من ان تكون مجنونا ولكني لااظنك كذلك .. كلا إنك لست مجنونا .. ولكني واثق انك جئت هنا لغرض معين لا أستطيع إداركه ثم إنك قذفتني

بتهمة خطيرة يهمني أن أعرف ماذا حملك على توجيهها إلي .
لقد مر بي من النكبات والمحن وعانيت الألم والشقاء ما يجعلني اقابل هذا الاتهام بكثير من الصبر والجلد وعدم المبالاة .. تكلم يا سيدي .
وكان يتكلم بتاثر واضح . وقد اغرورقت عيناه الحزينتان بالدموع وارتجف
"لوبين" . وسال ترى هل وقع في خطا ؟؟
وهل الاستدلال الذي اقام صرحه على الكثير من الاستنتاج والقليل من الحقائق لم يكن في موضعه ؟
ووقع بصره على شيء أثار اهتمامه .
فقد رأى الدبوس الثمين الذي يزين رباط عنق البارون .ولاحظ طوله غير العادي .
إن هذا الدبوس الذي يشبه الخنجر هو سلاح خطير في يد من يحسن استخدامه .
ولم يكن لدى "لوبين" شك في أن الدبوس هو السلاح الذي ثقب به قلب"لافرنو" التعس .
غمغم قائلا :
- إنك شديد البراعة يا سيدي البارون ..
فلزم البارون الصمت ... كما لو انه لم يفهم أو كما لو كان ينتظر مزيدا من الإيضاح . ومع ذلك فإن شرود ذهنه ، وأثار الحزن الواضحةعلى وجهه ، كل هذا ازعج "لوبين" وحيره . ولكنه كان واثقا من صدق ظنونه واستنتاجه ... وهو فضلا عن ذلك قد حدد موقفه من البارون وخطا خطوات لا يستطيع العدول عنها والرجوع فيها . قال :
- نعم . إنك بارع جدا . لأن ما فعلته البارونة ..إنما فعلته نزولا على إرادتك وإطاعة لأوامرك ، فانت الذي أوحيت إليها أن تبيع الأسهم والسندات كما أوحيت إليها بالرغبة في شراء جواهر البارونة "دي برني" .
ومن الواضح كذلك أن المراة التي غادرت بيتك منذ اسبوعين وبيدها حقيبة تحتوي على النقود والجواهر ليست زوجتك ولكنها شريكتك .

ولعلها تكون تلك الممثلة التي تعمدت أن تلفت إليها أنظار البوليس وتحملهم على تعقبها إلى بلجيكا .

إنها خدعة متناهية في البراعة يا سيدي البارون . وبعد فماذا كان يضير شريكتك في القيام بهذا الدور ؟ إنها تعلم أن البوليس يبحث عن البارونة . لا عنها هي . وكيف يمكن أن يبحث رجال البوليس عن امرأة غير البارونة . بعد أن وجدوك تعلن عن جائزة قدرها ٥٠٠ ألف من الفرنكات لمن يقبض على البارونة أو يرشد إلى مكانها ؟

ثم أن إيداع قيمة الجائزة عند أحد المحامين ، لهو في ذاته عمل يدل على العبقرية .. وقد بهر رجال البوليس وذر الرماد في عيون أبعد الناس نظرا .

إن رجلا يودع ٥٠٠ ألف فرنك لدى محاميه .. هو رجل صادق أمين .

وهكذا انطلق رجال البوليس في أعقاب البارونة .. وتركوك هنا في أمان وسلام لكي تدبر شؤونك وتعد عدتك وتبيع خيولك وقصورك وتتاهب للفرار.

فيالها من خدعة !

وأصغى البارون في صبر وأناة دون أن ينطق بكلمة أو يحرك ساكنا. ثم مشى إلى حيث كان يجلس "لوبين" .. ووقف أمامه وقال وهو لايزال محتفظا بهدوئه وبروده :

- من أنت ؟

فضحك "لوبين" وأجاب :

- ماذا يهمك من اسمي ؟ . هب أنني رسول القدر ..

وقد خرجت من الظلام لأسوقك إلى الهلاك والدمار ووثب من مقعده فجاة .. وأمسك ساعد البارون بقوة واستطرد :

- نعم .. إني خرجت من الظلام لأسوقك إلى الهلاك والدمار أصغ إلى إن ملايين الفرنكات التي تملكها زوجتك ..وجميع جواهر الأميرة "دي بيرني" .. وثمن السندات المالية ، والخيول والقصور كلها هنا في جيبك أو في هذه الخزانة وأنت قد أعددت عدتك وتأهبت للفرار .. فحزمت أمتعتك ، ورتبت أوراقك . وكان في نيتك في هذه الليلة بالذات ان تتنكر في مظهر جديد . وتلحق بصديقتك الممثلة "نيللي داربال" . تلك

التي قبض عليها "بيشو" خطأ في بلجيكا والتي من اجلها قتلت زوجتك وسكرتيرك .

ولكن المفاجاة حدثت في اللحظة الأخيرة .. وانت من تحقيق أمالك وأحلامك قاب قوسين أو أدنى .. فجاءت فرقة كاملة من رجال البوليس السري . وحاصرت بيتك . والفضل في ذلك للرسالة الضوئية التي بعث بها "لافرنو" إلى صديقه وكشف فيها عن السر .

فالمسألة بالنسبة إليك يا عزيزي البارون تعتبر منتهية ..

وهذه الساعات الباقية من الليل . هي آخر فترة في حياتك فتمتع فيها بشيء من الحرية بين جدران بيتك .وسيعقبها الاعتقال فالسجن فالمشنقة .

بيد اني استطيع إنقاذك . وكلمة واحدة بالتليفون أجلب عشرين أو ثلاثين من أتباعي واعواني . وهؤلاء يتكفلون بإزالة رجال البوليس من طريقنا . فنتسلل . انا وانت .من هذا البيت دون أن يشعر بنا أحد ..

اما شروطي فبسيطة . إنها لاقيمة لها بالنسبة إليك كل ما أطلبه هو أن نتقاسم الملايين والجواهر التي في حقيبتك أو في خزانتك .. هل اتفقنا ؟؟

وكان يتكلم في حزم . وعيناه تنظران إلى البارون بصرامة . وكلماته تنقض على البارون كالصواعق .

وغمغم البارون أخيرا :

- لقد بدات افهم . هذا نوع من الابتزاز ..

- سمه ما شئت يا بني ، ولكنك مرغم على القبول والطاعة . فلا تتصور انني ساتحول عن موقفي ومطالبي قيد انملة . ولا تقل لنفسك "هذا رجل يخشى البوليس ولابد أن ينتهي به الأمر إلى إعادة التفكير في الأمر . فإنني إذا رفضت . واعتقلت . فإنه سوف يعتقل أيضا . وسيكون مصيره السجن .. كلانا مجرم يبحث عنه البوليس . وكلانا أشبه بالحيوان في المصيدة" .

كلا . لاتقل لنفسك شيئا كهذا يا سيدي البارون ولاتفكر على هذا النحو فإنني أستطيع دائما الخروج من المازق . فكر في نفسك فقط . واختر بين الحياة والمال ..

إننا سنتقاسم الغنيمة . وإلا فهناك المشنقة في انتظارك ..
هل اتفقنا ؟

وبحركة سريعة . اجتذب البارون ساعده من قبضة "لوبين" . واطلق المسدس.

ولكن "لوبين" كان متاهبا لهذه الحركة . وقد راى بوادرها في مظاهر الياس التي بدت على وجه البارون . فقد خلع القنوط والخوف على وجهه آية من آيات الوحشية التي كثيرا ما تسبق التمرد والثورة المكظومة .

وأطلق البارون الرصاص مرتين .. فوثب "لوبين" إلى اليسار .. ثم غاص إلى اسفل . وامسك بساقي البارون .وطرحه ارضا . وحينئذ أطبق كل من الرجلين على غريمه . وقام بينهما نضال رهيب . ابدى فيه البارون من القسوة والوحشية ما يتعارض مع مظاهر هدوئه واستسلامه .

وفجاة . احس "لوبين" بالم في صدره فصاح :

– ويل لك ايها الوغد . هذه هي الطريقة التي قتلت بها "لافرنو" بواسطة الدبوس .

واستنجد بكل قوته . وبصلابة عضلاته . وتخلص من قبضة البارون وأطبق باصابعه الفولاذية على عنقه وصاح بلهجة المنتصر .

– قبحك الله .. لو لم تكشف عن ورقك لاقتنعت بخطئي .. وانخدعت بمظاهر بؤسك وسذاجتك .ونظرات البراءة التي عرفت كيف تخدع بها جميع الناس .

هلم بنا يا صديقي . اعطني هذا الدبوس وابتسم ..

لماذا كل هذا العبوس والتجهم ؟؟ هل شددت على عنقك اكثر مما يجب ؟؟ هل توشك أن تختنق ؟؟ ابسط يديك لكي أشد وثاقك . هذا حسن .. ها نحن متفقان كخير الأصدقاء ، الحق أن هذا مؤثر . وانا في قراره نفسي أشعر بالعطف عليك . والآن الف معذرة .

قال ذلك واهوى على فك البارون بلكمة قوية افقدته الوعي. ونهض "لوبين" عن صدر غريمه وهو يقول :

– هذا افضل ايها الصديق . لقد عرضت عليك نصف الغنيمة .

ولكني لن أعطيك الآن شيئا . إنما يجب أولا أن أعرف مكان النقود والجواهر ، ذلك أهم شيء في الوقت الحاضر .

ترى أين أخفى الشقي كنوزه ؟؟ في الخزانة ؟؟ إن فتحها مهمة عسيرة ولكن من حسن الحظ أن أمامي الليل كله .

قال ذلك وراح يفتش جيوب البارون حتى عثر على حزمة من المفاتيح فاسرع بها إلى الخزانة .

ولكنه توقف فجاة . فقد شعر بحركة في مكان ما ..

ترى هل هم الخدم ؟

كلا.. إن الخدم يقيمون في الطابق العلوي . والجلبة التي سمعها تنبعث من أسفل البيت .

وادرك الحقيقة فجاة ..

لابد أن يكون رجال البوليس السري الذين يحاصرون البيت قد سمعوا صوت الطلقين الناريين فاقبلو على الباب يطرقونه . كما يقضي عليهم واجبهم بذلك . دون أن ينتظروا إلى الصباح .

ودق الجرس بشدة . فصاح "لوبين" :

- يا للشيطان . يجب أن أفرغ من فتح الخزانة بسرعة . خلال ثوان معدودة . وإلا ضاعت جهودي كلها ..

مهلا يا "لوبين" . لا تضطرب ولاتنزعج . ما هو المطلوب منك الآن ؟ أن تفتح خزانة لاتعرف عنها شيئا .وان تفرغ من مهمتك خلال ثلاثين ثانية ؟؟ هذا أمر بسيط لاينبغي أن يفقدك اتزانك وهدوء أعصابك . كل ما ينقصك .. هو أن تعرف كلمة السر ، الكلمة التي تفتح بها الخزانة فلنركم عدد حروف هذه الكلمة؟؟ إنها تتكون من اربعة حروف .

وفكر بسرعة .. وهو ينصت بانتباه . وعقله يسجل كل صوت يصل إلى اذنيه.

واستطرد وهو يعبث بمقابض الخزانة :

- اربعة حروف . يا إلهي .. من ذا الذي يمد إلي يد المساعدة ؟؟ من ذا الذي يستطيع إرشادي إلى الكلمة العالية ؟؟ من ؟؟ آه .. إنه "لافرنو" بالتاكيد "لافرنو" الطيب . الذي ضحى بحياته لكي يبعث برسالة . يا إلهي .. كم أنا مغفل !! بالتاكيد . بالتاكيد .. هدئ من انفعالك وثورة

أعصابك يا "لوبين" .. واسكت هذا القلب الذي يوشك أن يثب من حلقك.

وتحول إلى مقابض باب الخزانة . وحركها بعناية .

ثم تناول حزمة المفاتيح . وجرب المفتاح الاول . ثم الثاني . ثم وضع المفتاح الثالث في ثقب القفل وحركه ففتحت الخزانة .

هتف .

- هنا الملايين التي تنتظرها .. معذرة أيها البارون ..كم أحبك !

ولكنه لم يكد ينظر في جوف الخزانة حتى تراجع إلى الوراء مذعورا وارتجفت ركبتاه هلعا . وسقطت حزمة المفاتيح من يده . وظل في مكانه جامدا بضع ثوان رغم أن الأجراس كانت تدوي في أرجاء القصر بقوة وشدة .

ونظر إلى جوف الخزانة مرة أخرى . ثم رفع يديه على عينيه ليخفي عنهما افظع منظر رآه في حياته .

رأى امامه في جوف الخزانة جثة امراة نصف عارية ..

وقد ثني جسدها ووضع في الخزانة عنوة .. كما تدلى شعر رأسها الجميل . وتجمدت قطرات الدم حولها في مواضع كثيرة . وبدت بشرتها زرقاء قاتمة تحمل جميع مظاهر التعفن الشديد .

هتف :

- البارونة .. إنها البارونة . ويل للوحش الآدمي .

.. وتخلص من ذعره وهلعه وجموده .. واسرع إلى حيث كان البارون ممددا على الأرض . وراح يركله بقدمه بشدة وهو يهتف :

- أيها النذل . ايها الوغد ..

* * *

وفي هذه الأثناء اشتدت الجلبة في أسفل البيت .

فادرك "لوبين" أن الخدم لابد قد استجابوا لرنين الأجراس ففتحوا الباب الخارجي .وسمع "لوبين" وقع اقدام كثيرة . واحس بضرورة التفكير في وسيلة للخروج من المأزق .

بيد أن ذلك لم يزعجه كثيرا . فقد شعر من هدوء البارون واطمئنانه وهو يتحدث إليه . أنه لابد أن يكون للبيت منفذ يستطيع التسلل منه.. وإلا لماذا هاجمه لو لم يكن واثقا من قدرته على التخلص من رجال البوليس الذين يحاصرون البيت ؟.

وانتقل "لوبين" إلى الغرفة المجاورة.. وكانت نوافذها تطل على الحديقة ... فانتظر حتى رأى آخر رجل من رجال البوليس يتوارى داخل المنزل ثم صعد إلى النافذة ..وتعلق بالأنابيب . وهبط إلى الحديقة .. ودار بالبيت ووجد في مؤخرته سورا من الأعشاب .. فنفذ منه ..وقع بصره على باب صغير مختف وراءالأعشاب .فعالجه باحد المفاتيح التي وجدها في جيب البارون .

وما هي إلا لحظة حتى وجد نفسه في شارع سان اونوريه ..

لقد تحققت ظنونه . فإن رجال البوليس قد غفلوا عن حراسة هذا المنفذ الخلفي الصغير .

وسالني "لوبين" بعد أن سرد عليّ حوادث تلك الليلة المزعجة :

– ما قولك في هذا البارون "ربستاين" ؟ ! لقد القى علي درسا لن أنساه . ولن اغتر بعد اليوم بالمظاهر الخادعة .. اقسم لك انني كدت مرارا أن أدعه وشانه . فقد نجح إلى حد كبير في إقناعي ببساطته وبراءته .

فسالته :

– ولكن ملايين الفرنكات !! وجواهر الأميرة "دي بيرني" ؟؟

– كانت كلها في الخزانة . وأذكر انني رايت في الخزانة حزمة كبيرة لاشك أنها كانت تشتمل على النقود والجواهر .

– وماذا فعلت بها.

– إنها لاتزال في موضعها .

– مستحيل .

– اقسم لك أنني تركتها هناك . كان في مقدوري أن ازعم أن هجوم البوليس افزعني . واضطرني إلى ترك الغنيمة . ولكن ذلك غير الواقع..

الحقيقة في منتهى البساطة ، وهي أن الرائحة المنبعثة من الخزانة

كانت لاتطاق .

- ماذا !

- لقد كانت الخزانة اشبه بتابوت . وكانت الجثة في حالة تعفن وتحلل تامين .. وقد شعرت بدوار . ولو بقيت امام الخزانة لحظة اخرى لفقدت وعيي .

كلام سخيف . اليس كذلك !! ولكنه الحقيقة .. هذا كل ما أصبته من الغنيمة .. الدبوس الثمين الذي يزين رباط عنق البارون إنه لايساوى اكثر من ربع مليون فرنك .

- سؤال اخير .. كيف عرفت كلمة السر التي فتحت بها الخزانة .

- هذه مسالة تافهة . والواقع . انني دهشت لانني لم افطن إلى هذه الكلمة باسرع من ذلك .

اخبرني .

- إنني عرفتها من الرسالة الضوئية التي بعث بها "لافرنو" .

- وكيف ..

- الا تذكر الأخطاء الهجائية التي لاحظتها في الرسالة .

- الأخطاء الهجائية !!

- بالتاكيد . هذه الأخطاء كانت مقصودة ومتعمدة . ومن غير المعقول أن رجلا مثل "لافرنو" .. يشغل وظيفة سكرتير رجل متشعب المصالح كالبارون ... يمكن أن يخطئ في إملاء بعض الكلمات الإنجليزية لقد وضعت الحروف التي وقع فيها الخطأ جنبا إلى جنب . فبرزت امامي كلمة (اتنا) وهي اسم جواد البارون الذي فاز بالجائزة الاولى في سباق هذا العام .

- هل كان في هذه الكلمة الكفاية !!

- بالتاكيد . إنها التي لفتت نظري منذ البداية إلى قضية "ربستاين" التي شغلت الصحف والراي العام طيلة الاسبوعين الاخيرين .

كنت اعرف أن صاحب الجواد (اتنا) هو البارون "ربستاين" . وهكذا امسكت بطرف الخيط ..

كذلك كانت (اتنا) هي كلمة السر التي تفتح بها الخزانة ..

وقد تعمد "لافرنو" الخطا الهجائي ليبرز هذه الكلمة لصديقه الإنجليزي لسببين أولهما انه يعرف الوديعة المفزعة التي في داخل الخزانة . والثاني لأنه اراد ان يشي بالبارون دون ان يذكر اسمه صراحة .

و قد كانت الرسالة الضوئية كذلك هي السبب في أنني استنتجت وجود صديق لـ "لافرنو" في البيت الذي سقطت عليه الأشعة . وفي ان الصديق إنجليزي . وأن الرجلين يتقابلان لتبادل الصحف والمجلات المصورة .. فالصحف الإنجليزية كما تذكر هي التي ابتكرت هذا النوع من المراسلة لتسلية قرائها . ثم نقلته عنها الصحف الفرنسية .

وأصبحت المراسلة بالإشارات الضوئية هواية عدد كبير من قراء الصحف في إنجلترا وفرنسا .

فقلت :

– إن هذا يفسر كل شيء .

– نعم . وهذه القضية بالذات توضح لك كيف ان إماطة اللثام عن معميات بعض الجرائم تتطلب شيئا اخر غير مجرد وزن الحقائق .. والاستنتاج وتعقب الآثار ..

إنها تتطلب الذكاء . والوحي . والإلهام .. ومن حسن الحظ ان "لوبين" – بغير فخر – لا ينقصه شيء من هذا جميعه .

-٢-

أين اللص ؟

في الساعة الرابعة من مساء أحد الأيام وقد بدأ النهار ينصرم .. رجع المزارع "جوسوت" وابناؤه الأربعة إلى البيت بعد ان امضوا نهارهم في الصيد والقنص . وكان الرجال الخمسة طوال القامة عريضي المناكب مفتولي السواعد لوحت الشمس بشرتهم ولكل منهم راس صغير الحجم ذو جبين ضيق منبعج وشفتان رفيعتان وأنف معقوف وسحنة قاسية تنم عن الشدة والبطش وكان جميع اهل القرية يهابونهم وينفرون منهم وكانوا معروفين بالجشع .

وحين بلغوا الجدار المرتفع الذي يقوم حول أملاك "هيبرفيل" فتح الأب الباب بمفتاح ضخم رده إلى جيبه بعد أن دخل أولاده وقد تبعوه على الأثر وسار الجميع في الطريق الذي يتخلل الأشجار .

وقال أحد الأبناء الأربعة :

- أرجو ان تكون أمي قد أشعلت المدفاة .

فقال الأب :

- إني أرى دخاناً منبعثا من المدخنة .

وبدت معالم البيت على البعد في نهاية الحديقة . وقد تراءت أبراج الكنيسة خلفه شاهقة تناطح السحب .

وقال "جوسوت" :

- البنادق كلها فارغة . أليس كذلك ؟

فقال الابن الأكبر :

- عدا بندقيتي فقد حشوتها لأجرب مهارتي .

وكان أشدهم زهوا وغرورا ببراعته في إصابة الهدف .

وتحول إلى إخوته قائلا :

- انظروا إلى هذا الغصن ... عند رأس شجرة الفراولة .. ساشطره نصفين .

وكانت فزاعة الطيور على الغصن . وهي تمثال مصنوع من الأقمشة

على صورة الإنسان يثبت فوق الأشجار حتى إذا راته الطيور حسبته إنسانا ففرت فزعة .

ورفع الابن الأكبر بندقيته وسددها إلى الغصن واطلق النار .

وترنح التمثال وهوى على شكل مضحك . ثم علق باحد الأغصان السفلى فظل منبطحا عليه فوق بطنه . وعلى راسه قبعته المعهودة المصنوعة من الخرق البالية . اما ساقاه المحشوتان بالقش فكانتا تهتزان وتتارجحان يمينا ويسارا.

واضحكهم هذا المنظر . وقال الأب مقرظا :

- رصاصة صائبة يا بني . وفضلا عن هذا فقد بدا تمثال الفزاعة يضايقني ويثقل على صدري . وما جلست يوما اتناول طعامي في الشرفة إلا استقر بضري على التمثال وخيل إلي انه يرمقني بنظرات شرهة .. شكرا على انك ارحتني منه .

وساروا بضع خطوات .

وحين صاروا من الدار على قيد ثلاثين خطوة وقف الأب فجاة في مكانه وهتف يقول :

- ما هذا ..؟

وكذلك جمد الأبناء الأربعة فى امكنتهم وارهفوا السمع .

وقال أحدهم في صوت خافت :

- إن الصوت صادر من البيت .. من غرفة الغسيل ..

وتمتم ثان يقول :

- كاني به صوت تاوهات . . وامي وحدها في البيت وفجاة دوت صرخة حادة.

وانطلق الرجال الخمسة صوب الدار .

ثم صرخة أخرى.. أعقبتها صيحات ياس وقنوط .

وهتف الابن الأكبر الذي كان يتقدم الجمع :

- إننا هنا .. إننا آتون .

ولما كان الطريق إلى البيت ملتويا فقد وثب الابن الأكبر إلى اقرب نافذة إليه وهشم زجاجها بقبضة يده وقفز إلى الداخل .

وكانت الغرفة التي ولجها هي المخدع الذي ينام فيه أبواه اما الغرفة

المجاورة فكانت غرفة الغسيل حيث اعتادت الأم "جوسوت" أن تمضي سحابة نهارها .

وحين رآها طريحة على الأرض غارقة في الدماء صرخ يقول :

– يا إلهي . أبت ..أبت ..!

وصاح الأب "جوسوت" :

– ماذا جرى ..؟ أين هي ..؟

وحين استقربصره عليها صرخ يقول :

– يا إلهي .. ما معنى هذا ..؟ ماذا فعلوا بك يا أماه ..؟

واستجمعت المرأة قواها .. وبسطت ذراعها وتمتمت في صوت ضعيف :

– الحقوا به .. من هذه الناحية .. هذه الناحية.. إني بخير .. خدش اوخدشان . الحقوا به لقد سرق مالنا.

صرخ الأب و ابناؤه :

– سرق المال ؟!

وانطلقوا صوب الباب الذي أشارت إليه الأم وهم يرددون :

– سرق المال .. تبا له .. ؟ هيا وراء اللص ..

وارتفع من اقصى الدهليز الذي ساروا فيه صوت أحدهم يقول :

– رأيته .. رأيته ..

صاح آخر :

– وأنا أيضا .. لقد ارتقى السلم . .

– كلا . . ها هو ذا ينزل ثانية :

وكانت مطاردة جنونية حامية . مطاردة اهتزت لها كل غرفة في البيت حتى كادت تتصدع منها الجدران .

وحين بلغ الأب "جوسوت" نهاية الدهليز لمح رجلا واقفا عند الباب الأمامي وهو يحاول فتحه .

ولو انه افلح في فتح هذا الباب لاستحال اللحاق به إذ ليس أيسر من التستر بالأشجار واجتياز الحديقة ثم التغلغل في ازقة القرية وطرقها .

و أسرع الأب "جوسوت" وانقض على الرجل وهو يعالج الباب ولكن

هذا تلقاه بضربة القته على الأرض صريعا . ثم رجع على عقبيه يجتاز الدهليز ثانية والأبناء الأربعة في اثره حتى إذا انتهى إلى المخدع تخطى سياج النافذة المهشمة وقفز إلى الحديقة واختفى .

وانطلق الرجال في اثره يجوسون خلال الحديقة ويبحثون عنه بين شجيراتها الملتفة . وقد بدأ الظلام يرخي سدوله .

وصاح الأب "جوسوت" وهو يضحك :

– وقع الشرير في الفخ .. لا مهرب له . إن السياج مرتفع لا سبيل إلى تخطيه .. سنظفر به حتما .

وكان بعض المزارعين الذين يعاونونه في العمل قد رجعوا من القرية في هذه اللحظة فانباهم بما وقع واعطى كلا منهم بندقية وقال :

– إذا تراءى لكم شبحه فلا تترددوا في إطلاق النار ..إياكم ان تاخذكم به رحمة او شفقة ..

ثم حدد لهم المواقع التي يقفون فيها و اسرع إلى بوابة المزرعة التي لا تستعمل إلا لمرور المركبات : فلما أيقن من انها مغلقة ذكر إذ ذاك – وإذ ذاك فقط – أن زوجته جريحة وانها قد تكون في حاجة إلى شيء من الإسعافات فرجع إليها واقبل عليها يسالها :

– كيف حالك يا عزيزتي .؟

– أين اللص ..؟ أظفرتم به ..؟

القت إليه هذا السؤال في انفاس متقطعة مبهورة فاجابها :

– إننا نجد في اثره . ولن يفلت منا . واغلب ظني ان الأولاد قد اقتنصوه الآن..!

وكان في هذا النبا ما ابهج قلبها ورد إليها قواها الضائعة . وصب زوجهافي حلقها رشفة من الشراب فانتعشت واستطاعت ان تنتقل إلى فراشها مستندة إلى ذراع "جوسوت" .

ثم شرعت تروي قصتها . وكانت قصة وجيزة مختصرة. قالت إنها فرغت من إشعال المدفاة في قاعة الجلوس وجلست عند نافذة مخدعها تطرز قطعة من القماش مترقبة عودة زوجها وابنائها حين خيل إليها انها سمعت صوتا صادرا من غرفة الغسيل .

وقالت في نفسها : لاشك اني سهوت عن إخراج القطة فحبستها

هناك .

ومضت إلى الغرفة دون أن تخالجها ذرة من الريبة . على انها ما كادت تتخطى العتبة حتى ادهشها أن ترى الدولاب الذي تودع فيه المال المدخر مفتوحا على مصراعيه . فسارت إليه وهي لا تتوقع شرا فإذا بها ترى رجلا واقفا عند الدولاب .

فقال الأب "جوسوت" :

- ولكن كيف استطاع الدخول ؟

- من الدهليز فيما أعتقد . فإننا لم نعتد إغلاق الباب الخلفي .

- وهل هجم عليك ..؟

- لا .. بل انا التي هجمت عليه . فحاول أن يفر هاربا .

- كان ينبغي أن تدعيه ولا تحاولي اللحاق به ..

- والمال الذي سرقه .. أادعه يهرب بما ادخرنا ..؟

- أكان إذن قد سرقه في هذه اللحظة ..؟

-بالتاكيد .. لقد رأيت رزمة الأوراق المالية في يده .. الا سحقا له .. لو استطعت لقتلته في هذه اللحظة .

- الم يكن مسلحا ..؟

- لم يكن سلاحه خيرا من سلاحي . كان كل منا مدججا باصابعه وأظفاره واسنانه .. لقد عضني هنا .. وقد اضطررت أن أصرخ .. لا تلمني فإني لست إلا امراة طاعنة في السن .. وقد أكرهني اللعين على أن أتخلى عنه وأطلقه .

- أتعرفينه ..؟

- إني موقنة انه "ترينارد" العجوز .

- الويل له .. نعم .. لابد انه "تريناردِ" اللعين . ولقد خيل إلي أنا أيضا اني عرفته . ولقد لمحته في الأيام الثلاثة الماضية يحوم حول البيت لا ريب أن الشقي قد استشعر ان لدينا مالا مدخرا ، تبا لك يا "تريناردِ" سوف ترى أني ساعرف كيف انتقم .. اسمعي يا عزيزتي أفي وسعك الآن أن تزايلي فراشك .. حسنا .. اذهبي إذن واخطري الجيران بما وقع واطلبي إليهم أن يبادروا باستدعاء البوليس .. ليت شعري كيف استطاع "تريناردِ" العجوز أن يجري .نعم نعم عهدي به كالأرنب

قوي السيقان ...

ولم يكن في نية "جوسوت" أن يتهاون لحظة واحدة في إنزال العقوبة الصارمة بـ "ترينارد" الشيخ . كان في نيته إذا ما اقتنصه أن ينهال عليه ضربا بالسوط ثم يسلمه إلى رجال البوليس.

وتناول المزارع بندقية ولحق برجاله الذين أرصدهم للمراقبة وقال :

- ألم يجد شيء .؟

- كلا .

- لن يطول انتظارنا إذن ..

ومن لحظة لأخرى كانوا يسمعون صوت الإخوة الأربعة ينادي بعضهم بعضا وهم يجوسون خلال الحديقة ويضربون بمقابض بنادقهم فيمابين الشجيرات . ولكن التوفيق أخطاهم فلم يهتدوا إلى مخبأ اللص .

أخيرا رجع أحد الأبناء وعلى وجهه أمارات الخيبة ولم يحاول أن يكتم رأيه فقال :

- الظلام حالك يا أبتاه . فلا فائدة ترجى من مواصلة البحث الليلة ولاشك أن اللعين قد اختفى في إحدى الحفر .. فأولى بنا أن نرجئ المطاردة حتى الصباح .

فصاح الأب :

- الصباح .. ماذا دهاك يا بني ؟ . أفقدت الجلد و الشجاعة ؟.

وجاء الابن الأكبر إذ ذاك مبهور الأنفاس .. يتصبب جبينه عرقا . وشاطر أخاه رأيه .. وأي ضرر يمكن أن يؤدي إليه الانتظار واللص حبيس بين جدران المزرعة العالية كأنه نزيل سجن لاسبيل له إلى الفكاك منه .؟

فصاح الفلاح الشيخ :

- إذن سأتولى البحث بنفسي .. أشعلوا لي مصباحا ..

وفي هذه اللحظة وصل ثلاثة من رجال الشرطة يصحبهم نفر من أهل القرية جاءوا يستطلعون آخر الأنباء .

وكان الضابط الذي يتولى رئاسة الشرطة ولوعا بالنظام فأصرعلى أن يسمع القصة أولا بحذافيرها قبل أن يشرع في البحث . فلما فرغ

الأب "جوسوت" من روايته غرق الضابط في التفكير . . ثم راح يطرح شتى الأسئلة على الإخوة الأربعة كل على انفراد .. وكان إذا مافرغ من استجواب أحدهم أطال التفكير. وأخيرا حين عرف أن اللص فر هاربا صوب الجهة الخلفية من المزرعة وأن اثره قد اختفى بالقرب من مكان معروف باسم "بيت الغربان" فكر طويلا ثم أدلى برأيه قائلا :

- أولى بنا أن ننتظر .. إن المطاردة في هذا الظلام الحالك ستهيئ لـ"تريناردر" العجوز سبيلا إلى الإفلات من بين أيدينا دون أن نشعر به .والآن أسعدتم مساء .

و هز الأب "جوسوت" كتفيه حنقا ولعن الضابط في سره ولكنه كان لابد من بسط رقابة شديدة على المزرعة حتى لايحاول اللص الفرار في أثناء الليل .. فتولى الضابط بمساعدة الأب "جوسوت" توزيع أهل الدار وبعض المزارعين والقرويين في شتى الأنحاء . فارصدوا هذا هنا وذاك هناك . ولما اطمأن الضابط إلى كمال خطته الحربية أوى إلى الدار وأمضى الليل يحتسي كؤوس الشراب التي قدمها إليه "جوسوت"

وانقضى الليل في سلام .

وكلما انقضت ساعتان غادر الضابط الدار وطاف بمراكز المراقبة ليطمئن إلى أن الرجال ساهرون متيقظون . ولم يقع أي حادث يثير الشبهات . إذن فلا يزال "تريناردر" منزويا في الحفرة التي أوى إليها .

وبدأت المعركة عند الفجر واستمرت أربع ساعات .

وفي خلال هذه الساعات الأربع لم يدع المطاردون شبرا من الثلاثة عشر فدانا المسورة بالجدران العالية إلا و نقبوا فيه .. ولم يتركوا ركنا من الأرض إلا قلبوه راسا على عقب . . كل حفرة فتشوها وكل زاوية بحثوا فيها وجعلوا يجوسون خلال الشجيرات المتكاثفة بعصيهم . . ويطئون الاعشاب الطويلة النامية باقدامهم .. ويزحزحون اغصان الأشجار وينظرون فيما بينها.

ومع ذلك لم يقعوا على اثر لـ "تريناردر" العجوز . وقال "جوسوت" مزمجرا :

- إن الأمر محير مربك . .

وقال الضابط مؤمنا :

- الحق انه يدهشني انا ايضا . .

ولم تتفتق الاذهان عن اي تعليل لهذا الاختفاء العجيب ..

ولم يكن في المزرعة إلا عدد قليل من الشجيرات وقد بحثوا في خلالها بحثا دقيقا .. اماالأشجار فكانت كلها عارية من الأوراق ولم يكن ثمة سبيل إلى الاختفاء فيها .ولم يكن هناك بناء او كوخ او كهف .

وقصارى القول إنه لم يكن في المزرعة مخبأ يختفي فيه "تريناردا" العجوز والمخابئ الموجودة فتشت كلها ونقبت .

وقال أحد الحاضرين :

- يحتمل أن يكون قد تخطى الجدار .

واتجه البحث إلى هذه الناحية .. ولكن الراي ما لبث ان اجتمع على أن تسلق الجدار مستحيل .

وبعد الظهر تولى قاضي التحقيق ووكيل النيابة التحقيق .ولكنه لم يسفر عن شيء جديد . بل لقد تسرب الشك إلى نفوس المحققين ووقع في روعهم أن الحادث اكذوبة ملفقة لاظل لها من الحقيقة وان الاعتداء المزعوم على الأم "جوسوت" لم يقع مطلقا ..

وقال القاضي يسال "جوسوت" :

- أموقن انت يا "جوسوت" من أن البصر لم يخدعك انت وابناءك فرايتم شيئا لا وجود له .؟

فقال المزارع وقد استولى عليه الغضب :

- وما يكون من شان زوجتي ..؟ اكانت مخدوعة هي ايضا حين انقض عليها الشرير واطبق على عنقها .؟إذا خالجتك الريبة في قولي فافحص عنقها وانظر إلى ما هو مطبوع عليه من آثار الأصابع ..

فقال القاضي :

- حسنا . . حسنا .. ولكن أين اللص إذن .؟

- هنا حبيس بين هذه الجدران ..

- إذن عليك أن تجده .. مادمت موقنا من وجوده فاتنا به . اما نحن فقد ادركنا الياس وقطعنا الرجاء .. ومن الواضح انه لو كان اللص مختبئا بين جدران هذه المزرعة لكنا الآن قد وفقنا حتما إلى الاهتداء

إليه .

فصاح "جوسوت" في انفعال :

- أقسم إني ساظفر به .. ساظفر به مهما اقتضاني الأمر .. لن يقال في يوم من الأيام إن لصا سلب "جوسوت" ستة آلاف فرنك .. نعم ستة آلاف فرنك..

لقد بعت ثلاث بقرات .. ثم هناك ثمن محصول القمح .! وثمن ثمار التفاح .. ستة آلاف فرنك أوراق مالية كنت موشكا ان أمضي بها إلى البنك .. أقسم إني ساظفر به ، وإني أعتبر المال كانه موجود الآن في جيبي .

فقال قاضي التحقيق :

- حسنا . . أتمنى لك التوفيق .

ثم انصرف وفي رفقته وكيل النيابة يتبعهما رجال الشرطة وكذلك اخذ الجيران ينصرفون تباعا . وما انقضت ساعات بعد الظهر حتى كان الجمع كله انفض ولم يبق إلا "جوسوت" واثنان من عمال المزرعة و أولاده الأربعة .

ومضى "جوسوت" يشرح الخطة التي اعتزم تنفيذها : عليهم أن يواصلوا البحث طيلة النهار دون كلل أو ملل . فإذا ما هبط الليل راقبوا المكان مراقبة دقيقة . وسيستمرون على ذلك مهما طال الأمر . إن "تريناردً" العجوز ليس إلا بشرا فلامفر له من أن ياكل ويشرب ، إنه لن يموت جوعا .وسترغمه هذه الحاجات على أن يتسلل من مخبئه لياكل ويشرب .. وسيكونون له بالمرصاد فإذا ما زايل مكانه انقضوا عليه وأخذوا بتلابيبه .

قال "جوسوت" :

- يحتمل أن يكون في جرابه بعض من لقيمات الخبز . وقد يسطو على ثمرة او ثمرتين من التفاح في أثناء الليل . أما الماء فلاسبيل له إليه . . ليس في الحديقة إلا عين واحدة .وإنه ليكون شيطانا من الجن إذا استطاع ان يصل إلى العين .!

وفي تلك الليلة تولى "جوسوت" بنفسه حراسة العين .

وبعد ثلاث ساعات حل الابن الأكبر مكانه . وقد أمضى عمال المزرعة

ليلتهم في الدار وهم يتبادلون نوبات الحراسة وقد اشعلوا المصابيح والقناديل كلها حتى لا يؤخذوا على غرة .

ودأبوا على هذه الرقابة اربع عشرة ليلة متوالية ..! في اثناء الليل مسهدون يرقبون و في اثناء النهار يفتشون وينقبون !

وفي الليلة الأخيرة كانت الأمور كشانها في الليلة الأولى لايزال اللص مختفيا ومعه الستة آلاف فرنك ..!

ولم يكف "جوسوت" الأب لحظة واحدة عن الشتم والسب . . إنه موقن من أن "ترينارد" مختف في المزرعة ولكن في أي ركن منها . . ؟

واستدعى "جوسوت" شرطيا سريا ممن اعتزلوا الخدمة وعهد إليه بمعاونته في البحث . وأقام الشرطي السري أسبوعا كاملا في المزرعة.. ومع ذلك لم يهتد إلى "تريناارد" العجوز بل لم يوفق إلى اي اثر يمكن أن يحيي الآمال في الصدور .

وقال "جوسوت" الأب :

- إنه لغز محير .. ! لغز محير جدا ..! إني موقن من انه موجود . . نعم . . إنه هنا حبيس بين جدران هذه المزرعة . .

ووقف "جوسوت" على عتبة الدار وصاح بملء صوته موجها حديثه إلى اللص المختفي :

- الا تعلم أيها الأحمق انه لاسبيل لك إلى الفرار وانك ستموت اختناقا في حفرتك ؟ أتحسبني أرضى بأن افرط في الستة آلاف فرنك .. اختف إذن أيها الغبي الأحمق فإني لك بالمرصاد ولن تغفل لي عين ..

ورددت الأم "جوسوت" شتائم زوجها وصرخت بصوتها الحاد النبرات:

- إنك خائف من أن نزجك في السجن . . حسنا . . أعد إلينا الأوراق المالية نطلق سراحك على الفورو لن نسلمك إلى البوليس . .

ولكن "تريناارد" العجوزلبث لائذا بالصمت لاينطق بكلمة ولا يكشف لهما مخباه على الرغم من مواصلتهما النداء حتى بح صوتاهما وتتابعت الأيام ...

وبلغ من قلق "جوسوت" وما ارهق به نفسه في اثناء البحث انه أصيب بالحمى اما ابناؤه فساءت أخلاقهم ونزعوا إلى الشراسة والمشاكسة وكانوا لا يتخلون لحظة واحدة عن بنادقهم وفي عزمهم ان

يطلقوا النار على اللص بلارحمة إذا ما استقرت عليه أبصارهم .

ولم يكن للقرية من حديث غير هذه السرقة .

ورددت الألسن القصة حتى انتهت إلى صحف المدينة فتناقلتها . واوفدت بعض الصحف رجالها للتحري .. بل لقد اوفدت بعض صحف باريس مندوبيها غير ان "جوسوت" لقي رجال الصحافة غاضبا واوصد بابه في وجوههم حانقا وهو يقول :

- كل إنسان ملك في داره . . فلاتتعرضوا لشؤوني .. هذا امر يعنيني وحدي فلاتتدخلوا . .

- ولكن الا ترى يا "جوسوت" ...

- لست أرى شيئا . . اغربوا عن وجهي

وصفق الباب في وجوههم .

وإلى هذه اللحظة كان قد مضى اسبوعان و "تريناردٌ" العجوز حبيس بين جدران المزرعة . . ولم يتهاون "جوسوت" في البحث لحظة واحدة . كان يوالي التنقيب بنفس الهمة التي بدا بها في اليوم الأول . وإن كان رجاؤه قد اخذ يضعف تدريجيا كانما استشعر أن في الأمر سرا خارقا للطبيعة لاسبيل لقدرة بشرية إلى التغلب عليه وكشف معمياته

وبدا الياس يتسرب إلى نفسه .. ووقع في روعه انه لن يرى للمال المسروق ظلا .

* * *

وذات صباح . . وفي نحو الساعة العاشرة . . كانت هناك سيارة تجتاز ساحة القرية بسرعة خارقة .

وفجاة هدات السيارة من سرعتها ووقفت دفعة واحدة واصيبت بخلل.

وفحصها قائدها فحصا دقيقا وقرر أن إصلاح العطب سيستغرق وقتا فلم ير صاحبها مندوحة إزاء هذا من المضي إلى فندق القرية ليتناول الغداء ويصيب شيئا من الراحة ريثما يتم إعداد سيارته .

وكان صاحب السيارة في العقد الرابع من العمر بش الوجه رقيق الحديث حلوه وما امضى في الفندق فترة وجيزة حتى لقي من

اصحابه كل عناية لماطبع عليه من البشاشة ورقة الجانب .

ومن المؤكد ان يرووا له قصة "جوسوت" واللص الخفي.

ولم تكن قد بلغته من قبل . إذ كان مسافرا في الخارج ، ولم يعد إلا منذ أيام قليلة ، ولكن الحادث استرعى اهتمامه وطاب له أن يسمع التفاصيل . وكان في خلال ذلك لايفتا يستفسر عن بعض النقاط المبهمة ، واشترك في الحديث جميع الجالسين إلى الموائد الاخرى وكل يدلي بنظريته وبالتفسير الذي يراه مبددا الظلمات .

وأخيرا قال صاحب السيارة :

- كلام فارغ . . لست أعتقد أن للحادث كل هذا الغموض ، ولقد مرت بي من قبل تجارب من هذا النوع . ولو أني كنت موجودا في المزرعة لاستطعت ان . .

فقال صاحب الفندق مقاطعا :

- ليس أيسر من أن ندبر لك الأمر ، إن المزارع "جوسوت" صديق لي وما أحسبه سيخيب رجائي .

وخف صاحب الفندق إلى "جوسوت" . وكان المسكين قد بلغ من القنوط حدا لايملك معه رفضا او قبولا . أما زوجته فقالت :

- فليحضر هذا السيد إذن . من يدري .

ودفع السيد ثمن طعامه ، ونبه على سائقه بأن يلحق به فور فراغه من إصلاح السيارة وقال له :

- الحق بي عند المزرعة بعد ساعة . . ساعة واحدة ليس إلا فلست في حاجة إلى اكثر منها .

ثم مضى إلى مزرعة "جوسوت" .

وفي المزرعة أصغى إلى "جوسوت" وكان "جوسوت" مسهبا في حديثه ميالا إلى الثرثرة والإفاضة ، فقاد السيد إلى الجدران التي تسور المزرعة وأراه المفتاح الذي أغلق به الباب ، ومضى يشرح له تفاصيل البحث الذي قام به مع رجاله .

ومن الغريب أن هذا السيد كان شارد الذهن كأنه لا يصغي إلى حديث "جوسوت" . كان يرمي ببصره هنا وهناك في شرود دون أن يتكلم ولما فرغوا من الطواف بالمزرعة قال "جوسوت" :

- هيه . . ماذا ترى ؟

- ماذا أرى.؟

- اتظن انك كشفت الحقيقة ؟

ومرت لحظة دون ان يحير الزائر جوابا .

ثم قال :

- لا . .

فرمى المزارع بيديه إلى السماء وهتف يقول :

- بالتاكيد لا . . انى لك أن تكشف الحقيقة وقد سعينا إليها من قبل طيلة اسبوعين كاملين . اتريد أن أصارحك برايي .؟ إني اعتقد أن "ترينارد" العجوز قد قضى نحبه في الحفرة التي لاذ بها . ومعه الأوراق المالية .! نعم إن أموالي معه . . ستبلى إلى جانب جثته . . هذا هو رايي وانا واثق أنه عين الصواب . !

ولما أمسك "جوسوت" عن الكلام قال الزائر الغريب في صوت هادئ :

- هناك شيء واحد يثير الاستغراب . لاشك أن اللص استطاع في اثناء الليل أن يقتطف من الثمار ما يقتات به حتى لايموت جوعا . . ولكن كيف احتال على إطفاء ظمئه وانتم ترصدون العين . !

- لست ادري . ليس في الحديقة كلها إلا عين واحدة .هذه العين . . ولم نغفل عنها لحظة واحدة طيلة الأيام الماضية . . لا ليلا ولانهارا .!

- ومن اين تنبع هذه العين ؟

- من هذا المكان الذي تقف عنده .؟

- اهناك ضغط كاف يرسل الماء إلى الحوض من تلقاء نفسه .؟

- نعم .

- وإلى اين يجري الماء إذا ما خرج من هذا الحوض . ؟

- يجري في هذه الأنبوبة الممتدة تحت الأرض حتى ينتهي إلى البيت . فلا سبيل له كما ترى إلى إطفاء ظمئه . ونحن نرصد المكان ليلا ونهارا .

- الم تمطر السماء في خلال الأسابيع الأربع الماضية .؟

- كلا . لم تمطر ولا مرة واحدة .

وسار الزائر إلى النبع وفحصه . وكان الحوض عبارة عن بضعة الواح من الخشب ضم بعضها إلى بعض . والماء يجري من خلالها .

وقال الزائر متسائلا :

- أظن أن عمق الماء لايزيد على ثلاثين سنتيمترا . ؟ أليس كذلك . ؟
ولكي يقيسه تناول عودا من القش أرسله في أغوار الماء .
ولكن فجأة . . رفع رأسه وابتسم وقال :
- أمر غريب . !
ثم انفجر يضحك .
وجرى "جوسوت" إلى الحوض وجعل يحملق إليه كأنما خطر له أن اللص يمكن أن يكون مختبئا بين الألواح وقال :
- هيه .! ما الذي جرى .؟ ما الذي يضحكك ؟
وهتفت الأم "جوسوت" قائلة .
- هل اهتديت إليه ؟ هل رأيته ؟ و أين هو ؟
فقال الزائر وهو لايزال مستغرقا في الضحك :
- اطمئنوا إنه ليس بين الألواح ولا تحتها . !
وسار السيد الغريب إلى البيت وفي أثره "جوسوت" وزوجته . وكان صاحب الفندق ونفر من أهل القرية قد حضروا إلى المزرعة وجعلوا يراقبون حركات الزائر في صمت وسكون .
قال الزائر وقد أشرق وجهه وعلت شفتيه ابتسامة خفيفة :
- كان الأمر كما توقعت . لم يكن هناك مفر من أن يروي اللص ظمأه .
ولما لم يكن هناك غير العين . .
فقال "جوسوت" مقاطعا :
- اسمع . لو أنه جاء إلى العين لرأيناه .!
- إنه لم يكن يطفيء ظمأه إلا ليلا .
وكنا أحرياء بأن نسمع وقع خطواته . بلى لقد كنا أحرياء بأن نراه أيضا إذ كنا على قيد خطوات قليلة من العين .
- واللص أيضا على قيد خطوات قليلة من العين .
فقطب الأب "جوسوت" جبينه وقال:
- أكان يشرب الماء من الحوض .؟
- نعم . .
- كيف .؟
- بطريقة ما .
- أية طريقة ؟
- هكذا .

وبسط الزائر عود القش الذي التقطه من الأرض ليقيس به غور الماء واستطرد يقول :

- بواسطة هذا العود استطاع اللص أن يشرب من الحوض . تامله إنه ليس عودا واحداوإنما هو عود طويل مؤلف في الواقع من ثلاثة أعواد تداخلت أطرافها . وهذا أول شيء استرعى بصري . ما الذي يدعو إلى إيصال هذه الأعواد الثلاثة بعضها ببعض . ؟ هذا العود كما ترى دليل قاطع .

فقال "جوسوت" في شيء من الارتباك :

- دليل قاطع على أي شيء ؟

وتناول الرجل الغريب بندقية معلقة على جدار الغرفة وقال :

- أهي محشوة .. ؟

فاجاب الأخ الأصغر :

- نعم . وقد اعتدت أن أصطاد بها العصافير . إنها محشوة بالخرطوش فقط .

- حسنا . إذن فلن يؤذيه الخرطوش ولكنه سيكشف لكم مخباه .

ثم علت وجهه أمارات الجد وقال في لهجة صارمة وقد أخذ بذراع "جوسوت":

-اسمع يا "جوسوت" . إنني لست بوليسا سريا . وما جئت لأقبض على السارق . لهذا لن أرضى مطلقا بأن يزج في السجن .. وحسبه قصاصا انه أمضى حبيسا في المزرعة أربعة أسابيع عانى في خلالها آلام الجوع ونوبات الخوف وهذا عندي أبلغ عقاب يمكن أن ينزل به فعدني بشرفك انت وأولادك انكم لن تتعرضوا له بسوء وانكم لن تسلموه إلى البوليس .

- يجب أولا أن يعيد إلينا المال المسروق .

- بالتأكيد . بالتأكيد هيا اقسموا .

واقسم "جوسوت" وأولاده .

وسار السيد الغريب صوب باب الحديقة . ثم رفع بندقيته في حركة سريعة وسددها إلى ناحية شجرة الفراولة وأطلق النار .

وارتفعت صرخة حادة وسقطت إلى الأرض فزاعة الطيور . ذلك التمثال المصنوع من العصي والأقمشة على صورة الإنسان . كان طيلة الشهر الماضي معلقا فوق الغصن . أما الآن فهوى إلى الأرض على أنه

ما كاد يبلغها حتى نهض واقفا وانطلق يجري .

وذهل الحاضرون حين راوا تمثالا من القش والعصي والخرق البالية تدب فيه الروح ويجري !

وحين تبددت صدمة الذهول الأولى تصايح الحاضرون وانطلقوا يركضون في اثر التمثال .! وكان المسكين يتعثر في خطواته والخرق البالية تعوق حركته فلحقه المطاردون .

ولكن قبل أن ينقضوا عليه كان السيد الغريب قد خف إليه وبسط عليه حمايته وذاد عنه ابناء الاب "جوسوت" .

– ارفعوا عنه ايديكم .. ولن اسمح لمخلوق بان يمد إليه يدا بالاذى .. ثم التفت إلى "تمثال الفزاعة" وقال :

– ارجو الا اكون قد اذيتك كثيرا يا "تريناره" . .

– وكان "تريناره" واقفا على ساقين لفتا بالقش والخرق . . وكذلك كان شان ذراعيه . أما وجهه وراسه فقد اختفيا وراء اكداس الخرق البالية التي لفهما بها . فلو انك نظرت إليه لما خطر لك إلا انه تمثال الفزاعة وما خطر لك أن هناك رجلا قد اختفى داخل التمثال والقى على نفسه كساءه وخرقه . وكان المنظر عجيبا وغير متوقع فلم يملك الحاضرون انفسهم من الإغراق في الضحك .

وأزاح السيد الغريب الاقمشة التي يلف بها الرجل راسه فكشف عن وجه قذر ولحية بيضاء . وتتوسط الوجه الهضيم الهزيل عينان تلمعان بتاثير الحمى .

واشتد ضحك الحاضرين .

وصاح "جوسوت" منزعجا :

– أين المال . ؟ أين الستة آلاف فرنك ؟

فرد السيد الغريب بإشارة من يده وقال :

– صبرا . . سنرد إليك مالك . . اليس كذلك يا "تريناره" .؟

ثم تناول مبراته و مزق بهاالخرق والقش وقال مازحا :

– إن شكلك يثير الضحك أيها الصعلوك . ولكن ليت شعري كيف استطعت ان تعمد إلى هذه الحيلة .؟إنك موفور الذكاء متوقد الذهن او انك على الاقل حسن الحظ . . لقد اغتنمت فرصة ضعف الرقابة في الليلة الأولى فالقيت على نفسك اسمال الفزاعة . . فكرة رائعة والله . أكان ممكنا أن يخطر لأحد أن السارق قد استحال تمثالا لإرهاب الطيور؟

إن العين تقع على هذا التمثال مئات المرات في اليوم فلن يخطر لأحد أن يطيل إليه النظر أو أن يفحصه . ولكن يا لك من مسكين . لاشك أن هذا الوضع آلمك . طيلة شهر كامل وأنت منطرح على الغصن فوق بطنك وذراعاك وساقاك متدلية مرخاة . وياله من وضع وياله من عذاب . . ولشد ما كان يستولي عليك الفزع إذا ما حركت عفوا ذراعا أو ساقا . وليت شعري كيف يواتيك النوم وأنت على هذه الحال . ؟ وكان ينبغي أن تاكل . وتشرب أيضا وما كان حالك وأنت تشعر بالمراقبين على قيد خطوات منك وبنادقهم في أيديهم ولكن أعجب حيلة لجأت إليها هي أعواد القش بلانزاع . لقد انتزعت من القش الذي حشي به جسدك بضعة أعواد ادخلت أطرافها بعضها في بعض حتى طالت وامتدت وبلغت حوض الماء . . وبهذه الطريقة استطعت أن تغمس طرف العود في الحوض وتمتص الماء دون أن يشعر بك أو يرتاب في أمرك مخلوق. والله إني لأشتهي أن أقبلك لفرط إعجابي بك . خدعة رائعة يا "تريناردِ" .

- ولكن قد مضى شهر كامل وأنت لاتستحم ولاتغتسل . . إنك خنزير قذر . . لقد شربت وأكلت وهضمت معدتك ما تناولت خذوه أيها السادة فإني ذاهب لأغسل يدي .

وانقض "جوسوت" وأبناؤه على الفريسة التي القيت إليهم وصرخوا فيه قائلين:

- أين المال الذي سرقت . . أعد إلينا الأوراق . .

وحاول الصعلوك وهو في إعيائه وضعفه أن يتظاهر بالدهش . فصاح فيه "جوسوت" :

- دع التظاهر بالبلاهة فإنها لن تغني عنك شيئا . . هيا أبرز الأوراق المالية الستة .

فقال "تريناردِ" في صوت متلعثم :

- ماذا . ؟ ماذا تريدون مني . ؟.

- المال .

- أي مال .؟

- الأوراق المالية .

- اية أوراق مالية .؟

فصاح "جوسوت":

- تبا لك . لقد بدا صدري يضيق . .
و انقض ابناؤه الاربعة على "ترينارد" وطرحوه أرضا ومزقوا ثيابه ونزعوا عنه خرقه البالية وفتشوه .
لكنهم لم يجدوا شيئا .
وصاح "جوسوت" في حنق وغيظ :
- أيها اللص . . أيها الشرير . . ماذا فعلت بها . ؟
وبدا على "تريناارد" الاستغراب والدهش . وراح يقول :- ماذا تريدون مني..؟ أي مال تبتغون .؟ إني لا أحمل ولاسنتيما واحدا .!
ولكن عينيه لبثتا تطيلان النظر إلى ثيابه المكومة على الأرض وكان يلوح عليه انه لم يفهم .
ولم يستطع "جوسوت" أن يكتم غضبه . فانهال مع أولاده على المسكين ضربا وركلا . . ولكن هذا العقاب لم يسفر عن اية نتيجة غير أن جوسوت" كان موقنا من أن "تريناارد" خبأ المال قبل أن يتقمص تمثال الفزاعة .
- أين أخفيته أيها الشيطان . ؟ في أي ركن من الحديقة خبأته ؟.
فقال الصعلوك وأمارات الغباوة ظاهرة علي وجهه :
- المال .؟
- نعم المال . . الذي دفنته في مكان ما . . إذا لم نعثر عليه سلمناك إلى البوليس ولدينا شهود على ما فعلت . . ستشهدون معنا أيها الأصدقاء وكذلك ذلك السيد الذي كشف أمرك .
والتفت "جوسوت" إلى ناحية عين الماء حيث كان السيد الغريب قد مضى ليغسل يديه وادهشه انه لم ير السيد عند العين .
قال متسائلا:
- هل انصرف . ؟
فأجاب أحد الحاضرين :
- كلا . لقد أشعل سيجارة ومضى يتريض في الحديقة .
فقال "جوسوت" :
- حسنا . . إنه وحده هو الذي يستطيع أن يرشدنا إلى مخبأ الأوراق المالية كما أرشدنا من قبل إلى مخبأ الرجل .
فقال أحد الحاضرين :
- إلا إذا . .

فقال "جوسوت" مرددا :
- إلا ماذا ؟ ماذا تريد ان تقول ؟ افصح عما في ذهنك إن كان في ذهنك شيء . . . تكلم ماذا تريد أن تقول ؟
ولكنه امسك فجاة وقد طاف بذهنه خاطر مباغت ملأ نفسه شكا واشاع الريبة في صدره . .
وطاف نفس الخاطر باذهان جميع القرويين الحاضرين . .
الم يكن الأمر غريبا . . ؟ ! وصول هذا السيد إلى القرية ، وخلل السيارة واسلوبه في طرح الأسئلة على أصحاب الفندق ، وطريقته التي توصل بها إلى دخول المزرعة . .
اليست هذه الأساليب جميعا أسلوب رجل من كبار المحتالين ، قرأ تفاصيل الحادث في الصحف ، فابتدع هذه الحيلة ليؤذن له بدخول المزرعة حتى يجرب حظه . . !
واخيرا تكلم صاحب الفندق ، ونطق بما يجيش في صدور الحاضرين :
- إنه والله رجل بارع الحيلة . . لاشك انه اخذ الأوراق المالية من جيب "ترينارد" تحت سمعنا وبصرنا وهو يفتشه دون أن نفطن إلى الأمر.
فصاح "جوسوت" :
- مستحيل . . وإلا لغادر هذه المزرعة من هذه الناحية . . من ناحية البيت ، قبل ان نتنبه للأمر ونقبض عليه ، ولكنه سار في هذا الاتجاه إنه الآن يتريض في الحديقة . .
فقالت الأم "جوسوت" تذكره :
- والباب الخلفي الصغير . . ؟
- مفتاحه معي لايبرح جيبي .
- ولكنك أريته له .؟
- هذا صحيح . . غير اني استعدته منه على الفور وها هو ذا معي في جيبي . .
ودس يده في جيبه ليخرج المفتاح .
ثم أطلق صرخة حادة :
- يا إلهي . . اختفى المفتاح . .
وانطلق يجري في الحديقة وفي اثره ابناؤه ونفر من القرويين . .

وما اجتازوا من الحديقة نصفها حتى بدا في اسماعهم دوي سيارة . لاريب أنها سيارة ذلك السيد الغريب . الم يامر سائقه بان ينتظره عند باب المزرعة . . ؟

وحين بلغ الرجال الباب طالعهم على الواحه الخشبية اسم مكتوب بالطباشير بحروف كبيرة :وكان هذا الاسم هو : أرسين لوبين وتحت الاسم بحروف صغيرة هذه الكلمات :

"إنك يا عزيزي "جوسوت" شره بخيل وما فعلت في حياتك خيرا وما اسديت إحسانا ولكن غدا سيصلك من إحدى الجمعيات الخيرية خطاب شكر على مبلغ الستة آلاف فرنك التي تبرعت بها للجمعية وسيلقبونك بالمحسن الكبير ..

والآن يمكنك أن تموت مطمئنا . .فستدخل الجنة .

"ارسين لوبين"

وكان "جوسوت" خليقاً بان يشفي غليله لو انه استطاع ان ينتقم من "تريناردِ" العجوز ولكن القرويين الذين حضروا الحادث شهدوا بان تفتيش المتهم لم يسفر عن شيء إذ لم يعثروا معه على الأوراق المالية فبراه القاضي من تهمة السرقة ولكنه حكم عليه بالسجن ثلاثة اشهر لاعتدائه على الأم "جوسوت" .

وحين اطلق سراحه وجد في انتظاره بباب السجن رجلا لايعرفه ودفع الرجل إلى يد "تريناردِ" بظرف فيه أوراق مالية قيمتها مائة فرنك . والمائة فرنك عند رجل كـ "تريناردِ" كنز عظيم .

وكان "تريناردِ" سعيدا .

وكان "لوبين سعيدا .

وكان رئيس الجمعية الخيرية سعيدا .

ولم يكن هناك من شقي محزون إلا "جوسوت" وزوجته وابناؤهما الاربعة . .

- ٣ -

"خاتم الزواج"

قبلت "إيفون دوريني" ابنها الصغير واوصته أن يحسن سلوكه وقالت له :

- انت تعلم أن جدتك لاتحب الأولاد ، ولكنها ارسلت تدعوك إلى بيتها ، فيجب أن تثبت لها أنك غلام هادئ عاقل.

ثم التفتت إلى المربية وقالت لها :

- لا تنسي يا آنسة أن تعودي به بعد العشاء مباشرة . هل لا يزال الكونت في البيت ؟

فاجابت المربية :

- نعم يا سيدتي . إنه في مكتبه .

* * *

وما إن أصبحت "إيفون دوريني" وحدها في الغرفة حتى نهضت إلى النافذة لتطل على ولدها وهو يغادر البيت .

وما هي إلا لحظة حتى خرج الغلام إلى الشارع وحول بصره نحو نافذتها . وأرسل إلى أمه قبلة في الهواء كما اعتاد أن يفعل كل يوم . ثم تناولت المربية يده ، ودهشت "إيفون" حين لاحظت أن المربية فعلت ذلك بشيء كثير من الغلظة والخشونة .

وزادت "إيفون" انحناء من النافذة ، ورأت أن الغلام ما كاد يصل إلى ركن الشارع حتى خرج رجل من إحدى السيارات ، وتناول ساعد الغلام وادخله مع المربية في السيارة . وامر السائق بالانطلاق .

وعرفت "إيفون" في ذلك الرجل "برنار" خادم زوجها الأمين .

ولم يستغرق كل هذا أكثر من عشر ثوان .

واستولى الفزع على "إيفون" وأسرعت إلى باب غرفتها .

ولكنها وجدته مغلقا .. والمفتاح ليس في قفله .

وفجأة تراءى لها زوجها بوجهه العابس الذي لا يبتسم أبدا . وبعينيه القاسيتين اللتين طالما رمقتاها بنظرات الكراهة والبغض

فقالت لنفسها :
- نعم . نعم هذا من تدبيره .. لقد اختطف ولدي ..
يا إلهي هذا مخيف !!
وراحت تدق الباب بقبضتها بعنف ثم دارت على عقبيها وأسرعت إلى زر الجرس فضغطته بشدة . حتى خيل إليها أن رنينه لابد قد وصل إلى آذان المارة في الطريق .. وسوف ياتي الخدم ورجال البوليس ..
ويمتلئ البيت بالناس . وشد هذا الأمل من عزمها ..
واستمر تضغط زر الجرس
وبعد قليل . تحرك مفتاح في قفل الباب وفتح الباب بقوة وعنف وظهر زوجها الكونت واقفا بالباب وفي عينيه نظرة جعلت "إيفون" ترتجف هلعا ..
وتقدم الكونت نحوها في خطوات بطيئة . وحاولت ان تتراجع أو حتى ان تصيح . ولكن خيل إليها أن قدميها قد غاصتا في الأرض . وان صوتها قد احتبس في حلقها .
وفجاة هجم عليها الكونت وانشب اصابعه في عنقها وهو يقول بصوت خافت رهيب :
- لا تحدثي ضجة . ولا تصيحي .. من الخير لك أن تلزمي الصمت .
ولما راى انها لاتحاول الدفاع عن نفسها ..
اخرج من جيبه حبلا كان قد اعده من قبل . وما هي إلا دقائق حتى كانت "إيفون دوريني" ممددة على مقعد طويل وقد شدت يداها وقدماها إلى جانبيها .
وكان الظلام قد بدا يرخي سدوله . فاضاء الكونت النور الكهربائي وقصد إلى المكتب الذي تعودت زوجته أن تحفظ فيه أوراقها ورسائلها ولما عجز عن فتحه .
استخدم آلة حادة في تحطيم ادراجه .
وافرغ الكونت محتويات الأدراج في سلة حملها وهو يقول :
- إنني اضيع وقتي عبثا اليس كذلك ؟؟ ليس في الأدراج غير فواتير ورسائل لا اهمية لها . ولا اثر لاي دليل ضدك ؟ ولكنني اقسم انني ساحتفظ بولدي . ولن اخليه بعد الآن أبدا ..
وعندما هم بمغادرة الغرفة . اقبل خادمه الأمين "برنار" . . ووقف

الرجلان يتحدثان بصوت خافت قال "برنار" ::

- لقد جاءني رد من الجوهري يقول فيه إنه يضع نفسه تحت تصرفي فاجابه الكونت .

- لقد أرجأنا الأمر إلى الساعة الثانية عشرة ظهرا غدا . وقد اتصلت بي والدتي منذ قليل . وقالت إنها لا تستطيع الحضور قبل هذا الموعد.

وانصرف الرجلان بعد أن اغلق الكونت الباب .

وسمعت "إيفون" وقع أقدامهما وهما يبتعدان .

وظلت المرأة المسكينة في مكانها مذهولة مضعضعة الحواس . ومرت بذهنها حوادث الماضي القريب والبعيد .

وتذكرت قسوة زوجها عليها وتحقيره لها .. وتهديده إياها بالطلاق فادركت أنها ضحية مؤامرة واسعة النطاق يدبرها زوجها . فالخدم قد منحوا إجازة يومين والمربية قد ذهبت بابنها بمساعدة "برنار" .

إذن فهي لن ترى ولدها أبدا ..

وبرح بها الحزن والأسى .. وأولاها حبها لولدها شيئا من القوة فحاولت أن تتخلص من وثاقها ولاحظت أن زوجها لم يوثق يدها اليمنى جيدا فتبلج لعينها الأمل . وأخذت تعالج عقدة الحبل . وقضت في ذلك وقتا طويلا . وأخيرا استطاعت أن تحل وثاق يديها . وشرعت تعمل لحل وثاق قدميها.

كانت تفعل ذلك وعقلها في شغل بالتفكير في ولدها .

و تخلصت من وثاقها أخيرا ونهضت عن المقعد عندما كانت الساعة تدق الثامنة .

وما إن استردت حركة يديها وقدميها حتى أسرعت إلى النافذة ففتحتها وفي نيتها أن تستنجد بأول عابر سبيل .

واتفق في هذه اللحظة أن أبصرت شرطيا يمشي ببطء على رصيف الشارع . فانحنت فوق النافذة وهمت بالاستغاثة .

ولكن نسيم الليل البارد لفح جبهتها . ورد إليها بعض الهدوء والسكينة . وفكرت في الفضيحة والتحقيق ،

والإجراءات القضائية والقانونية . فامسكت ، وغمغمت تقول في أسى :

- يا إلهي . ماذا أفعل ؟

نعم . ماذا تفعل ؟ وكيف تستطيع الفرار دون أن تحدث ضجة أو

فضيحة ؟ إن زوجها قد ياتي إلى غرفتها في اية لحظة . وقد يثيره أن يراها تخلصت من وثاقها . ومن يعلم اية جريمة يقدم عليها في ساعة غضبه وثورته .

ومرت بجسدها رعدة قوية . وتجسمت في خاطرها فكرة الموت . فصاحت بصوت مختنق !

– النجدة . المعونة .

ولكنها كفت عن الصياح فجاة .

وخطر لها خاطر . وتذكرت شيئا أحيا في نفسها موات الأمل فاسرعت إلى دولاب الكتب . وفتحته ..

وتناولت كتابا راحت تتصفحه بسرعة . ولكنها لم تجد فيه بغيتها . فتناولت كتابا آخر وثالثا ورابعا . وبينماتقلب صفحات الكتاب الخامس . إذ وجدت بطاقة فتناولتها في لهفة وقرات فيها هذا الاسم :

"هوارس فيلمون"

النادي الملكي

وتذكرت على الفور العبارات الغريبة التي قالها صاحب هذا الاسم في هذا البيت بالذات منذ بضعة أعوام .

لقد قال لها :

– إذا حاق بك خطر . وشعرت بحاجتك إلى المعونة . فلا ترددي . بل ابعثي إلي بهذه البطاقة التي أضعها أمامك في هذا الكتاب . ابعثي بها إلي في أية ساعة من ساعات الليل أو النهار فاوافيك على الفور .

وقد قال لها ذلك بلهجة تدل على قوة العزيمة والثقة بالنفس . والجراة التي لا حد لها .

وعلى الفور . تناولت "إيفون" غلافا وضعت به البطاقة وكتبت عليه اسم "فيلمون" وعنوانه . واسرعت إلى النافذة .

وكان الشرطي لا يزال يمشي على الرصيف جيئة وذهابا ولكن ترى هل يحمل الشرطي الرسالة إلى صاحبها ؟ .

تناولت ورقة كتبت عليها :

"أرجو من يجد هذه الرسالة أن يحملها إلى صاحبها فورا وله مكافاة".

وارفقت الورقة بالرسالة بدبوس . وقذفت بها إلى الشارع ... وتركتها للأقدار..

ولكنها ما كادت تفعل ذلك . حتى أحست بسخف ما فعلت .
كان من الجنون ان تامل أن ياتي الرجل لنجدتها في مثل هذه الساعة من الليل ..
وبعد .. كيف تضع آمالها في شخص لم تره منذ عدة أعوام . وربما يكون قد نسيها تماما ونسي وعده لها ؟
والحت عليها هذه الخواطر وكان لها اثرها . فاستولى عليها الياس.
وتهالكت على مقعدها . وراحت تبكي ..
ومرت الساعات ببطء شديد . ساعات الشتاء البارد الهادئ الساكن فالشوارع صامتة مقفرة لا يسمع فيها غير صوت المركبات والسيارات.
وسمعت "إيفون" صوت وقع اقدام في جهات متفرقة من البيت فادركت ان زوجها تناول طعام العشاء وانه ذهب إلى مكتبه .
ودقت الساعة الواحدة صباحا . ثم الثانية ثم الثالثة ..
وكانت طول الوقت تفكر في ولدها . وفيما سيكون من أمره .. وهل سيقدر لها أن تراه مرة أخرى .
وفجاة سمعت حركة قفل الباب . فاجفلت ثم وثبت من مكانها . واجالت الطرف حولها كانما تبحث عن شيء تدافع به عن نفسها ..
وفتح الباب . ونظرت "إيفون" إلى القادم وجمدت في مكانها كما لو كانت قد رات شبحا .
هتفت :
- اهذا انت ؟ اهذا أنت ؟..
رات امامها شابا انيقا وسيما في ثياب السهرة وقد حمل قبعته في يده واحنى لها قامته باحترام شديد .
وعرفت فيه "هوارس فيلمون" . وغمغمت مرة أخرى :
- اهذا انت ؟
فاجاب : معذرة يا سيدتي .. إنني لم اتسلم رسالتك إلا الآن .
- هل يمكن هذا ؟ هل يمكن أن تكون انت ؟؟ هل يمكن أن تكون

استطعت ..

الم أعدك بان البي دعوتك في أية ساعة من ساعات الليل أو النهار .

- نعم . ولكن ..

فقاطعها وهو يبتسم !

- وهانذا قد جئت تلبية لدعوتك . وأجال الطرف حوله في جوانب الغرفة وراى الحبل الذي شد به زوجها وثاقها فقال :

- إذن فتلك هي وسائله ؟؟ أعني وسائل الكونت "دوريني" ؟ وقد لاحظت كذلك انه قد أوصد باب غرفتك . ولكن الرسالة ؟؟ آه إنك قذفت بها من النافذة . لماذا تركت النافذة مفتوحة ؟

ونهض إلى النافذة واغلقها فصاحت به في ذعر :

- هب انهم شعروا بوجودك .

- لا يوجد أحد في البيت ..

- ومع ذلك ..

- لقد خرج زوجك منذ عشر دقائق ..

- إلى أين ذهب ؟

- إلى والدته .

- وكيف علمت ذلك ؟

- المسالة غاية في البساطة . إنني اتصلت به تليفونيا وانباته ان والدته مريضة جدا ثم كمنت في ركن الشارع . ورايته ينصرف على عجل . ومعه خادمه فدخلت إلى البيت مستعينا بمفتاح خاص .

قال ذلك في بساطة . كمن يسرد شيئا لا أهمية له .

وذعرت "إيفون" وهتفت :

- إذن والدته ليست مريضة حقا ؟؟ في هذه الحالة قد يعود زوجي فجاة في أية لحظة .

- لاشك انه سيفطن للخدعة متى وصل إلى بيت والدته . ولكنه لن يعود قبل نصف الساعة على الأقل يجب أن أبحث عن ولدي .

- إذن دعنا نذهب .. لا أريد ان يجدني هنا ..

- صبرا لحظة ..
- وكيف أصبر . الا تعلم انهم اخذوا ولدي ؟
وحاولت النهوض . لكنه اجلسها في رفق . وقال لها في لهجة جادة:
- اصغي إلي يا سيدتي . إن الوقت ثمين . ويجب الا نضيع دقيقة واحدة . لعلك تذكرين اننا تقابلنا اربع مرات منذ ست سنوات . وفي المقابلة الأخيرة . كنت اتحدث إليك في قاعة الاستقبال في هذا المنزل ذاته ..
وكان في حديثي شيء من العاطفة . ولكنك افهمتني في لباقة ان وجودي في بيتك لم يعد امرا مرغوبا فيه .
ومنذ ذلك الوقت . لم يقع بصري عليك.. وبالرغم من ذلك فإنك ظللت على ثقتك بي .. بدليل احتفاظك بهذه البطاقة حيث وضعتها منذ عدة اعوام وإني اناشدك الآن ان تستمر ثقتك بي .. وأن تطيعيني طاعة عمياء ..
وكما ذللت كل عقبة للوصول إليك . كذلك ساذلل كل عقبة لإنقاذك . مهما يكن موقفك .
وكان يتكلم بصوت هادئ رقيق ينم عن العطف والحزم في وقت واحد. وأحست "إيفون" في وجوده بشيء كثير من الطمانينة .
استطرد قائلا :
- لا تخشي شيئا يا سيدتي . إن زوجك لن يعود قبل نصف الساعة . واقسم لك ان اذهب بك من هنا في الساعة الثالثة تماما إلى حيث تجدين ولدك . ولكننا لن نذهب قبل أن أعرف كل شيء ..
- وماذا يجب أن افعل الآن ؟
- اجيبي عن أسئلتي في وضوح وصراحة .
- سل ما تريد .
- هل تعتقدين أن لزوجك الكونت أغراضا إجرامية !
- كلا ..

- إذن فالأمر يتعلق بولدك وحده !

- نعم .

- أعتقد انه أخذه .. لأنه يريد الطلاق منك كي يقترن بامرأة أخرى . امرأة كانت يوما ما إحدى صديقاتك ولكنك طردتها من بيتك . أليس كذلك ؟

أضرع إليك أن تجيبيني في صراحة ، هذه كلها حقائق معروفة .. فلماذا تترددين في ذكر الحقائق وانت تعلمين ان الأمر يتعلق بولدك ! إذن فزوجك يريد الاقتران بتلك المرأة !.

- نعم .

- وتلك المرأة لا تملك مالا .. وزوجك قد أضاع كل أملاكه وأمواله في القمار . ولم يعد له من إيراد غير ما يأخذه من والدته . ومن الإيراد الذي تدره الأملاك التي ورثها ابنك من أحد أعمامه .. وزوجك يطمع في هذه الأملاك . ويرى أنه لا يستطيع التصرف فيها بحرية إلا إذا تركت له وحده كفالة الطفل والوصاية عليه..

والوسيلة الوحيدة لذلك هي الطلاق منك .. فهل كل هذا صحيح ؟

- نعم .

- ولم يمنعه من الحصول على الطلاق حتى الآن إلا رفضك ؟

- نعم . رفضت . ورفضت والدته . لأنها متدينة وتعارض في الطلاق إلا إذا ثبت أنني سلكت سلوكا شائنا .

فهز "فيلمون" كتفيه وقال :

- إذن فهو لن يستطيع أن يصيبك أو يصيب ولدك بأذى . من الناحية القانونية . أو ناحية مصالحه ..

إن أمامه عقبة لا يستطيع التغلب عليها ..

وتلك هي عفاف إمرأة أمينة طاهرة . ليس في مقدوره أن يجد في سلوكها مطعنا .

- ماذا تعني ؟

- أعني أن رجلا مثل الكونت . تردد كثيرا أمام العقبات التي

تعترض اهدافه . ثم تحرك فجاة للعمل . لابد ان يكون هناك ما يحفزه إلى ذلك . كان يكون قد حصل على سلاح من شانه أن يساعده على تحقيق أغراضه .

- أي سلاح ؟

- لا أعلم . ولكن لابد انه وجد سلاحا .. وإلا لما شرع في إنفاذ خطته وبدا باخذ ابنك .

- يا إلهي . كل هذا مخيف من يدري اية فكرة جهنمية خطرت له .

- فكري جيدا و حاولي ان تتذكري . هل كانت في هذه الأدراج التي حطمها بعض اوراق يمكن أن يتخذها سلاحا ضدك ؟

- كلا .. لم يكن بها غير فواتير . ورسائل قديمة لا اهمية لها .

- الم تفهمي من عبارات التهديد التي وجهها إليك ماذا ينوى أن يفعل؟

- كلا ..

- ومع ذلك .. لابد أن في الأمر شيئا .. هل لزوجك صديق مخلص يثق فيه ويطمئن إليه ؟

- كلا .

- الم يزره أحد امس ؟

- كلا .

- هل كان وحده حين شد وثاقك واغلق باب غرفتك ؟

- نعم . إنه كان بمفرده . ثم لحق به خادمه "برنار" وسمعتهما يتحدثان عن جواهري .

- هل هذا كل ما تحدثا عنه ؟

- تكلما كذلك عن شيء سيحدث غدا في الساعة الثانية عشرة ظهرا لأن والدته لا تستطيع الحضور قبل هذا الموعد .

- هل فهمت لحديثهما معنى يلقي ضوءا على خطة زوجك !

- كلا.

- اين جواهرك ؟

- باعها زوجي .

- الم يبق لك منها شيئا ؟

- كلا.

- حتى ولا خاتم ؟

- كلا .. سوى هذا الخاتم .

- إنه خاتم الزواج . اليس كذلك ؟

- نعم إنه خاتم الـ ..

ولم تتم الكونتس عبارتها .

ولاحظ "فيلمون" ان وجهها احمر فجاة ..وسمعها تغمغم :

- هل يمكن هذا ؟؟ ولكن لا .! إنه لايعلم .

ومازال "فيلمون" يلح عليها بالأسئلة حتى قالت :

- إن هذا الخاتم ليس خاتم زواجي .. لقد فقدت خاتم زواجي في مخدعي منذ عدة أشهر ... وصنعت هذا الخاتم بدلا منه . دون أن اذكر شيئا لأحد .

- والخاتم الذي فقدته .. هل كان تاريخ زواجك منقوشا عليه ؟

- نعم .. ٢٣ اكتوبر .

- وهذا الخاتم ؟

- ليس به تاريخ .

ولاحظ اضطرابها وترددها . فقال لها :

- اضرع إليك الا تخفي عني شيئا .. هانت ترين اننا قطعنا شوطا كبيرا في بضع دقائق .

- هل من الضروري أن تعرف كل شيء ؟

- إن التفاصيل مهما تكن تافهة لا تخلو من اهمية .

فقالت في كبرياء :

- ليس لدي ما أخفيه . إنني شقية في حياتي الزوجية كما تعلم . وقد حدث في احد ايام بؤسي وشقائي وياسي انني تذكرت رجلا كان يحبني قبل زواجي.. وقد شعرت بحبه دون أن يبوح لي به . وقد توفي

هذا الرجل قبل أن اتزوج.. فنقشت اسمه على هذا الخاتم على سبيل التفاؤل عسى أن يجلب لي حظا اسعد .

لم اكن احمل لهذا الرجل غير الذكرى الحزينة الطيبة ..

لقد مر بحياتي . كالحلم .

وكانت تتكلم في بطء . وبغير خجل .. وآمن "فيلمون" على الفور بانها لم تذكر غير الحقيقة ..

قالت بعد لحظة :

- هل تعتقد أن زوجي ..

ولم تتم عبارتها . وتناول "فيلمون" يدها .. وفحص الخاتم الذهبي الذي في إصبعها . وقال :

- إن السر كله هنا . لابد أن زوجك . قد علم بطريقة ما أن هذا ليس خاتم زواجك . إنه هذا الخاتم . وبذلك يثير ريبة والدته في سلوكك .

ويحصل على موافقتها على الطلاق بالطرق القانونية ..

طالما يملك الدليل الذي يؤيد صلتك برجل آخر .

- يا إلهي . إذن قد ضعت .

- كلا . بل إنك نجوت . اعطيني هذا الخاتم .

وسارسل إليك خاتما آخر كالخاتم الذي ضاع .

ولكنها صاحت في ذعر وهلع :

- قلت لك لقد ضعت . الا ترى أن الخاتم قد ضاق على أصبعي وليس في استطاعتي أن انزعه ..

آه .. تذكرت الآن .. لقد خيل إلي منذ ايام انني رايت فيما يشبه الحلمكان

إنسانا يعبث بالخاتم الذي في اصبعي .. لابد أن زوجي دس لي مخدرا في الطعام أو الشراب ولاشك انه الجوهري الذي سينزع الخاتم من إصبعي أمام والدته ..أواه يا إلهي ..

ودفنت وجهها بين كفيها ، وراحت تبكي ، وفجاة رفعت رأسها وهتفت :

- ها هو قد عاد .. إنني أسمع وقع خطواته ..
هلم بنا نذهب .
- كلا ، يجب أن تبقي .
- وولدي ؟ أريد أن أراه ..
- إنك لا تعرفين مكانه . ومن الجنون أن تذهبي الآن . وسوف يتساءل زوجك من الذي حل وثاقك وساعدك على الفرار . وسيفهم أن لك شريكا..
وسيزعم أن هذا الشريك هو عشيقك .
وبذلك يزداد مركزك سوءا أمام والدته . إن الفرار الآن معناه الطلاق..
- إنني خائفة . انزع هذا الخاتم من إصبعي ..
حطمه .
- إن نزعه أو تحطيمه يعني وجود شريك لك ..
كلا . ابقي حيث انت وثقي بي ..
ومددها على المقعد . وشد وثاقها بالحبال ..
وقال لها هامسا :
- تذكري ولدك ، ولا تخشي شيئا . إنني ساهر عليك .
وسمعت وقع خطواته وهو ينصرف ، ثم سمعت حركة مفتاح في قفل الباب..
وما هي إلا دقائق . حتى دخل زوجها مسرعا ، وشرر الغضب يتطاير من عينيه ، فانحنى فوقها .. وتاكد انها موثقة اليدين والقدمين ثم نظر إلى يديها . وفحص الخاتم . وفي هذه اللحظة ، اغمي على "إيفون" .
ولم تدر المرأة التعسة كم من الوقت ظلت في إغمائها ..
ولكنها عندما فتحت عينيها ، رات الغرفة تسبح في اشعة الشمس ، ووقع بصرها على زوجها وكان واقفا يتاملها في صمت فهتفت :
- ولدي . ولدي . اريد ولدي .
فاجابها بلهجة وقحة :

- إن ولدنا في مكان أمين . ولكن الأمر لايختص به . وإنما يختص بك انت . إننا الآن وجها لوجه . وقد يكون ذلك آخر مرة . إن المناقشة بيننا ستكون جادة.

وستكون على مسمع من والدتي ..

فهل لديك مانع من ذلك ؟.

فاجابت وهي تحاول إخفاء اضطرابها:

- كلا .

- هل أرسل في طلبها ؟

- نعم ، فقط دعني الآن لكي اتاهب لمقابلتها متى حضرت .

- إنها حضرت فعلا .

فصاحت في جزع وقد تذكرت وعد "هوارس فيلمون" :

- تقول إنها حضرت فعلا ؟

- وماذا يدهشك في ذلك ؟

- لاشيء . ولكن لماذا لاتدع الأمر إلى المساء ..

أو إلى الغد .

- كلا . لقد حدث حادث عجيب لم أعرف له تفسيرا .. ولكنه حفزني إلى الإسراع . الا تريدين أن تتناولي شيئا من الطعام أولا .

- كلا .

- إذن سادعو والدتي ..

وحل وثاق زوجته . وغادر الغرفة . ونظرت "إيفون" إلى الساعة المثبتة بالجدار . وجدتها الحادية عشرة إلا عشرين دقيقة .

يا إلهي . وأين "فيلمون" . إنه وعد بان ينقذها ..

وعاد الكونت ووالدته . وكانت امرأة طويلة القامة نحيلة الوجه . تنم نظراتها إلى "إيفون" عن الكراهة والبغض .

قالت الأم :

- لا اظن ان هناك ضرورة لإطالة هذا الموقف المؤلم ..

إن ولدي يزعم أن ..

فقاطعها الكونت :

- إنني لا ازعم شيئا يا اماه . ولكني اقرر حقيقة .

لقد حدث منذ اشهر ان وجد خادمي "برنار" في أرض غرفة المخدع . الخاتم الذي اعطيته لزوجتي بمناسبة زواجنا . ها هو ذا الخاتم ، وقد نقش عليه تاريخ ٢٣ اكتوبر .

فقالت الأم :

- إذن فاي خاتم في إصبع زوجتك ..

- إنه خاتم آخر استعاضت به عن الخاتم المفقود ..

وقد بحث خادمي "برنار" عن الجوهري الذي صنعه لها حتى عرفه . وهذا الجوهري موجود الآن مع "برنار" في غرفة مكتبي .

ثم تحول إلى زوجته وقال لها :

- هل لك ان تعطيني الخاتم الذي في إصبعك طواعية واختيارا ؟!

- لقد ضاق على إصبعي ولا أستطيع نزعه .

- في هذه الحالة يجب أن أدعو الجوهري لكسره . هل لديك مانع ؟

فاجابت بصوت خافت كانه الحشرجة :

- كلا .

وأسقط في يدها . ورات بعين الخيال ماسوف يترتب على ذلك كله من فضيحة.. وإجراءات قانونية .. وطلاق .. وانتزاع طفلها من احضانها ..

قالت لها حماتها :

- لقد كان من قصر النظر أن تفعلي ما فعلت يا "إيفون" !

وهمت المراة المسكينة بان تبوح لها بكل شيء ..

ولكنها عدلت عن ذلك . إذ ما الفائدة ؟

وعاد الكونت يتبعه الخادم والجوهري ، وكان هذا يحمل في يده حقيبة صغيرة بها أدواته .

قال الكونت يحدث الجوهري :

- هل تعرف ماذا يجب أن تفعل ؟

- نعم . سأنزع هذا الخاتم الذي ضاق على إصبع الكونتيسة . إنها عملية بسيطة لا تتطلب أكثر من استخدام المقراض .

- وعليك أن ترى بعد ذلك هل الكتابة المنقوشة عليه . هي ذات الكتابة التي نقشتها بنفسك ..

وترنحت "إيفون" في مكانها ..

لقد عجز "فيلمون" عن إنقاذها .. وانتهى كل شيء ..

وأغمضت عينيها .. وأسلمت يدها إلى الجوهري الذي أعمل المقراض في الخاتم . وما هي إلا لحظة حتى نزعه من إصبعها .

وصاح الكونت صيحة الإنتصار وهو يقول :

- واخيرا . ها هو الدليل .. وجميعنا شهود عليه .

واختطف الخاتم من يد الجوهري ، ونظر إليه ، وأفلتت من فمه صيحة دهشة.

كان منقوشا في باطن الخاتم تاريخ زواجه من إيفون" (٢٣ أكتوبر) .

كنت جالسا مع "أرسين لوبين" في كازينو مونت كارلو وهو يسرد علي هذه القصة العجيبة فسألته :

- وكيف كانت الخاتمة ؟

- أية خاتمة ؟ لقد نجت الكونتيسة . ولم يجد الكونت الدليل الذي يريده . واقتنعت والدته ببراءة "إيفون" ، وأرغمت ابنها الكونت على العدول عن طلب الطلاق وإعادة الابن إلى أمه !

- نعم . نعم .. ولكن كيف انقذت الكونتيسة ؟

فضحك "لوبين" وأجاب :

- إنك تنشر على الناس مغامراتي ، وتريدني ان اضع النقط فوق الحروف دون أن تجهد ذهنك في التفكير قليلا . إن الكونتسية نفسها لم تسالني عن التفاصيل .

قال ذلك وأخرج من حافظته ورقة مالية ذات خمسة فرنكات ، و أطبق يده عليها وسأل .

- ماذا في يدي ؟

- ورقة مالية ذات خمسة فرنكات .

فبسط يده ، وإذا هي خالية . ولا شيء فيها .

قال :

- إن المسألة غاية في البساطة كما ترى ، وليس ايسر على الجوهري من أن يستبدل خاتما بخاتم .

- إذن فقد كنت انت الجوهري؟

فابتسم "لوبين" واجاب :

- إنني بعد أن غادرت الكونتسية ، قصدت فورا إلى مكتب الكونت ، وبعد بحث قصير ، وجدت الرسالة التي بعث بها الجوهري وقال فيها إنه على استعداد للحضور ، وبرشوة بسيطة استطعت ان اقنع الجوهري بان يدعني أحل محله .. وتزودت قبل ذهابي بخاتم مكسور منقوش عليه التاريخ .

- ٤ -

الشملة الحريرية الحمراء

بينما كان كبير المفتشين "جانيمار" يغادر مسكنه ذات صباح في تلك الساعة المبكرة التي اعتاد الذهاب فيها إلى إدارة الأمن العام ، استرعى انتباهه ذلك المسلك العجيب الذي ياتيه شخص يسير أمامه في شارع برجوليس .. .. فقد كان الرجل ، وهو مخلوق رث الثياب يضع على راسه قبعة من القش بينما اليوم أول ديسمبر ، يقف عند كل ثلاثين أو أربعين مترا وينحني ليوثق رباط حذائه ، أو يلتقط عصاه ، أو لغير ذلك من الأغراض اليسيرة .. ولكنه يخرج من جيبه في كل مرة قطعة صغيرة من قشر البرتقال فيضعها خلسة عند حافة الإفريز !. وكان من المحتمل ان تكون هذه ظاهرة من ظواهر الشذوذ العقلي ، أو عبثا صبيانيا لا يثير الانتباه ، غير أن المفتش "جانيمار" كان من أولئك الأفراد الذين يهتمون بكل ما تقع عليه أبصارهم ، ولا يقر قرارهم إلا إذا عرفوا الأشياء على حقيقتها واستشفوا اسراراها وخفاياها ، ولذلك عدل عن الذهاب إلى عمله ، وانصرف إلى تتبع الرجل والسير في أثره .

فلما بلغ الرجل نهاية شارع برجوليس واستدار في طريق جراند أرميه ، لمحه "جانيمار" يتبادل إشارات خفية مع صبي في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره ، كان يسير في الناحية اليسرى من الطريق ، وبعد قليل وقف الرجل ثم انحنى ليقلب ثنية سرواله فإذا بقطعة من قشر البرتقال تسقط على الأرض ، بينما وقف الغلام بدوره ليرسم بالطباشير صليبا داخل دائرة بيضاء على جدار المنزل المجاور له .. وبعد بضع خطوات تكرر الحادث فوقف الرجل ليلتقط عصاه ويترك مكانها قشرة بينما رسم الصبي نفس العلامة على الجدار .

فتنهد "جانيمار" في ارتياح وغمغم :

- يالله !. إنها فاتحة تبشر بالأمل .. ترى ما الذي يدبره هذان

الوغدان؟

– ولكن (الوغدين) استمرا في سيرهما فقطعا بهذه الطريقة شارع فريدلاند ثم فوبورج سانت أونوريه دون أن يحدث شيء يستحق الذكر سوى أنهما راحا يعيدان هذا العمل في فترات منتظمة وبطريقة شبه آلية . وكان من الواضح أن الرجل لا يقف ليلقي بقشرة البرتقال إلا بعد أن يلقي نظرة على المنزل الذي يراد وضع العلامة عليه ، كما أن الغلام لم يكن ليضع هذه العلامة إلا بعد أن يرى حركة زميله . ومن ذلك فهم المفتش "جانيمار" أن الاثنين يعملان على اتفاق بينهما ، فكان ذلك أمرا بالغ الأهمية في نظره .

وتردد الرجل قليلا عندما بلغ ميدان بوفو ، ولكنه بعد أن أعمل الفكر هنيهة راح يقلب ثنية سرواله ويعيدها مرتين .

بينما جلس الغلام على الإفريز ، إلى جوار الحارس الذي يقف أمام مبنى وزارة الداخلية ، ورسم على الحجر دائرتين بيضاوين داخلهما صليبان !. وتكررت نفس الظاهرة عندما استمرا في سيرهماإلى "الإليزيه" مع ذلك الفارق الوحيد وهو أن العلامات التي رسمت على الإفريز أمام قصر رئيس الجمهورية ، كانت ثلاثا !

فاستبد الانفعال بـ "جانيمار" وراح يفكر رغما عنه في خصمه القديم اللدود، "أرسين لوبين" ذلك الذي يقفز اسمه إلى مخيلته كلما عرضت له ظروف غامضة لا يدرك لها كنها ..

وما لبث أن غمغم :

– لعنة الله عليهم جميعا .. ترى ما معنى هذا كله ؟

وكان بوده أن يطبق على الوغدين ويمسك بخناقهما ويسألهما عن سر ما يصنعان ، ولكنه كان من المهارة بحيث لا يرتكب هذه الحماقة ، فظل يرقبهما من بعد .. ووقف الرجل ليشعل لفافة ، فأسرع إليه الغلام وهو يضع عقبا بين شفتيه وكأنه ذاهب ليسأله أن يشعله له . وتبادلا بضع كلمات قليلة ..

وفي أسرع من لمح البصر أعطى الغلام رفيقه شيئا خيل لـ "جانيمار"

انه مسدس صغير ، وانحنيا معا فوقه بينما راح الرجل ، وكان يقف ووجهه للجدار يضع يده في جيبه ست مرات وياتي بحركة يفهم منها انه يحشو المسدس بالرصاص .

فلما اتم ذلك سارا معا بغتة إلى شارع سيرين .. وكان المفتش يتبعهما عن كثب باكثر ما يستطيع من الحرص حتى لا ينتبها إليه ، فراهما يجتازان باب منزل قديم كانت نوافذه جميعا موصدة ما عدا نوافذ الطابق الثالث . فاسرع وراءهما ووجد خلف الباب فناء واسعا في نهايته درج يؤدي إلى الأعلى .وإلى جانبه حانوت لأحد عمال الطلاء .

وارتقى الدرج ، ولكنه ما كاد يصل إلى الطابق الأول حتى هرع يصعده في وثبات سريعة إذ سمع من أعلى المنزل أصواتا تنم عن صراع رهيب حتى إذا ما بلغ الطابق الأخير وجد بابه مفتوحا فولجه بعد أن ارهف السمع هنيهة ، ثم اندفع إلى الحجرة التي كان الصوت ينبعث منها ، ولكنه ظل واقفا في الباب يلهث وقد تسمرت قدماه واتسعت حدقتاه دهشة وعجبا إذ رأى الرجل والغلام يمسكان بمقعدين قديمين ويضربان الأرض بهما في شدة وعنف .

وفي نفس الوقت رأى رجلا ثالثا يخرج من حجرة مجاورة ، رجلا في نحو الثلاثين من عمره يتدلى من عارضيه شعر كثيف ، ويغطي فمه شارب غزير ، ويضع نظارة كبيرة ، وقد ارتدى سترة ذات بنيقة (ياقة) من الفراء ، يبدو فيها كانه من الأجانب ، او بالأحرى من الروسيين .

وقال له الرجل وهو يبتسم :طاب يومك يا "جانيمار" !.

ثم تحول إلى الأخرين قائلا : شكرا أيها الصديقان ، مع تهنئتي الحارة للنجاح الباهر الذي انتهت إليه مهمتكما .

وها هو الجعل الذي وعدتكما به .. وناولهما ورقة من ذات المائة فرنك ودفعهما خارجا وهو يغلق الأبواب خلفهما ، ثم عاد يقول :

- إنني اسف يا صديقي العزيز ، ولكني كنت في حاجة إلى التحدث إليك ، وفي حاجة شديدة إلى رؤيتك .ومد إليه يده ، ولكنه رأى المفتش يقف مشدوها وعلى وجهه علامات الكمد والغيظ ، فاستطرد معتذرا :

- الا تفهم غرضي ، مع انه شديد الوضوح ؟ لقد كنت في حاجة

لرؤيتك ، فما عسي أن أفعل ؟.. أوه . لا يا صديقي ، لو انني كتبت إليك او خاطبتك بالتليفون لما اتيت .. ولو اتيت لأحضرت معك فرقة كاملة المعدات !.. بينما أردت ان أراك على انفراد ! وقد ظننت ان خير ما افعله هو ان أبعث هذين الصديقين للقائك فينثر احدهما قشر البرتقال ويرسم الآخر علامات على الجدران .. وبالإجمال امرتهما بان يعترضا طريقك ويثيرا انتباهك حتى تتبعهما إلى هذا المكان . ولكن ، ما الذي يثير دهشتك وحيرتك إلى هذا الحد ؟ ربما كنت لا تذكرني ؟ "لوبين" . "ارسين لوبين" . هيا استعد ذاكرتك ايها الصديق . الا يذكرك هذا الاسم بشيء ؟

فغمغم "جانيمار" : ايها اللص القذر !..

فانفجر "لوبين" مقهقها وقال في عطف :

- ترى هل اغضبتك ؟.. اجل . إنني أرى ذلك في عينيك .. فما كان ينبغي ان احضرك إلى هنا ، بل انتظر حتى تاتي بنفسك للقبض علي

إن الفكرة لم تواتني ، وأعدك أنني في المرة القادمة ..

فغمغم "جانيمار" ثانية : أيها الجرذ الحقير !.

- آه !. انا الذي ظننت انني اعد لك مفاجاة سارة !..

لقد قلت لنفسي إنني لم أر "جانيمار" العزيز مدة طويلة ، ولسوف يندفع نحوي فيعانقني عندما يراني !.

ولم يكن "جانيمار" قد تحرك من مكانه بعد ، ولكنه افاق من ذهوله ، فنظر حواليه ، ثم نظر إلى ديل ، كانه يسائل نفسه إذا لم يكن الافضل أن ينقض عليه فيكبله بالقيود بدلا من أن يعانقه . ولكنه كبح جماح نفسه وتناول مقعدا وجلس في هدوء قائلا : تكلم ، ولا تضع وقتي بشيء من سخافاتك المعهودة .. فإنني في عجلة ..

- تماما . وسوف نتحدث قليلا ، فإنك لم تجد في العالم مكانا اكثر هدوءا من هذا .. وهو ، إن لم تكن تعلم ، من المنازل القديمة التي يرجع عهدها إلى العصور الوسطى ، ويملكه الآن الدوق "دي روشيلو" ، الذي شاء كرمه أن يسمح لي بالإقامة في هذا الطابق . وهانت ترى انني أحتفظ بمساكن متعدده من هذا النوع ، وهي خطة حميدة مامونة . وانا هنا رغم انني ابدو كاحد نبلاء الروس ، فإنني معروف باسم

مسيو "دوبريه" ، الوزير السابق . وماذا افعل ؟. كان ينبغي أن أختار مهنة ضخمة كهذه حتى لا الفت الأنظار إلي .

- اتظنني ابالي بهذا الهراء ؟

- الحق معك .. فإنني اضيع الوقت وانت في عجلة من أمرك . معذرة، فلن ابقيك اكثر من خمس دقائق ، وسابدأ حديثي للتو .. اتريد سيجارا ؟ لا ؟ .. ولا انا ..

وجلس "لوبين" إزاءه وراح يقرع الخوان باصابعه في تفكير ، ثم استطرد :

- في اليوم السابع عشر من شهر اكتوبر سنة ١٥٩٩ ، وفي احد ايام الخريف الدافئة المشمسة .. هل انت مصغ إلي ؟ .. ولكن .. لقد أهملت فكري ووجدت من العبث ان اعود بك إلى عهد هنري الرابع ، واقص عليك تاريخ إنشاء الجسر الجديد (بون نيف) . فلست اظنك ملما بتاريخ فرنسا ، وسوف اسبب لك ارتباكا شديدا ! ويكفي إذن ان اخبرك بانه حدث في الليلة الماضية ، اعني في الساعة الواحدة صباحا ، أن كان أحد أصحاب القوارب يمر تحت ذلك الجسر الجديد بالقرب من الضفة اليسرى للنهر ، فسمع صوت سقوط شيء في مقدم اقارب . ولم يكن ثمة ريب في أن ذلك الشيء ألقي به من فوق الجسر ليستقر في أعماق السين. وقبل أن يتبين صاحب القارب ذلك الشيء كان كلبه قد اندفع ناحيته وهو ينبح نباحا عاليا ، حتى إذا ما أدركه صاحبه وجده يمسك بلفافة من ورق الصحف وهو يمزقها بانيابه ، فاخذها منه بعد أن سقطت بعض محتوياتها في الماء ، وذهب إلى قمرته ليفحص في عناية بقية الأشياء التي انطوت عليها اللفافة ، فراعته نتيجة فحصه . ولما كان الرجل على علاقة وثيقة باحد اصدقائي فقد ابلغني الخبر ، واستيقظت في الصباح الباكر لأسمع تفاصيل الموضوع ، وارى هذه الأشياء التي التقطها من زورقه . وهاك هي ..

واشار "لوبين" إلى بضعة أشياء متناثرة فوق المائدة ، وهي عبارة عن قطعة ممزقة من ورق الصحف ، ومحبرة ثقيلة من الزجاج ثبت في غطائها حبل دقيق ، وكمية من شظايا الزجاج المحطم ، وصندوق من

الورق المقوى انبعجت اطرافه .. ثم اخيرا قطعة من الحرير الاحمر تنتهي بعقدة (شرابة) من نفس النوع واللون ..

واستطرد "لوبين" :

- ارايت هذا المعرض يا رفيق الصبا ؟. لا ريب ان المعضلة تكون اسهل حلا لو اننا وجدنا الأشياء الأخرى التي كانت في اللفافة وذهبت إلى قاع النهر بسبب حماقة الكلب . ولكن يخيل إلي اننا نستطيع رغم ذلك ان نستخلص شيئا من هذه الآثار الضئيلة ، بالقليل من التفكير والذكاء وهما من صفاتك العظيمة يا عزيزي "جانيمار" . فماذا ترى في ذلك كله ؟..

ولم تتحرك عضلة واحدة في وجه "جانيمار" . وكان يريد ان يضع حدا لهزر "ارسين لوبين" ، ولكن كبرياءه منعته من ان يفوه بكلمة واحدة، او يومئ براسه بما يدل على موافقته او استهجانه ..

فمضى "لوبين" قائلا :

- أرى اننا متفقان في الراى يا عزيزي ! . ويمكنني أن الخص الامر في إيجاز كما تدلنا عليه هذه الآثار .. ففي مساء الأمس ، بين التاسعة والعاشرة أصيبت امراة شابة ترتدي ثيابا زاهية ، بطعنة سكين نجلاء ، ثم احيط بعنقها شيء فخنقت حتى لفظت انفاسها .. وذلك بيد سيدانيق الملبس ، يضع عوينة واحدة (مونوكل) وهو من هواة السباق . وكانت تلك المراة نفسها تاكل معه قبل ذلك نوعا من الفطائر المغطاة بالقشدة والشوكولاتة ..

واشعل "لوبين" لفافة ، ثم امسك بذراع "جانيمار" قائلا :

- الا ترى يا صديقي المفتش ؟ .. لقد كنت تظن ان مثل هذه الاستنتاجات لا يمكن ان يصل إليها احد خارج دائرتكم الموقرة . وقد اخطات يا سيدي فإن في استطاعة "لوبين" أن يبلغ شاوا بعيدا فيها كامهر الشرطة الذين نقرا عنهم في القصص البوليسية . وإليك الدليل على صدق فراستي ..

وكان "لوبين" يشير إلى الأشياء المبعثرة فوق المائدة واحدا بعد

الآخر وهو يتحدث :

- لقد قلت إن ذلك كان بين الساعة التاسعة والعاشرة ، فهذه الصحيفة الممزقة تحمل تاريخ الأمس وإلى جانبه كلمتا (طبعة المساء) كما يمكنك أن ترى هذه القطعة الصغيرة الملصقة عليها وهي من المحازم الصفراء التي يكتب عليها أسماء المشتركين لترسل إليهم بالبريد. وقد جرت العادة بأن توزع هذه الأعداد في التاسعة من المساء وبذلك تكون الجريمة قد ارتكبت بعد ذلك . وقلت إنه رجل أنيق الملبس . ويضع عوينة واحدة ، وهو أمر يسهل عليك استنتاجه من قطع الزجاج المحطمة إذ ترى في إحداها ذلك الثقب الذي توضع فيه السلسلة الرفيعة التي تصل ما بين العوينة والسترة أو الصدرية .

ولا ريب أن العوينة من أسباب الأناقة في الملبس فلا يضعها إلا الأرستقراطيون .. وقد ذهب الرجل الأنيق إلى أحد محال بيع الحلوى ، فإن ذلك الصندوق من الورق المقوى لا يزال يحمل آثار الفطائر المغطاة بالقشدةوبعد أن ابتاعها مضى إلى لقاء امرأة شابة تستطيع أن تستشف شذوذها من ناحية الملبس من هذه الشملة (الكوفية) الحريرية الحمراء الزاهية .

فلما قابلها طعنها ، لسبب لايزال مجهولا ، بسكين ثم أجهز عليها بأن خنقها بنفس شملتها . ولو فحصت هذه القطعة الحريرية بمنظارك المكبر أيها المفتش ، لرأيت بها بقعا حمراء داكنة هي آثار مسح الدماء العالقة بالسكين فيها ، وكذلك أثر قبضة ملوثة بالدماء أمسكت بالشملة في عنف ..

وبعد أن أتم القاتل جريمته كان شغله الشاغل ألا يترك أثرا ينم عليه ولذا أخرج من جيبه تلك الصحيفة المشترك فيها - وهي من صحف السباق كما يبدو من محتوياتها - ولن يكون من العسير أن تهتدي إلى اسمها - وذلك الحبل الصغير الذي تستطيع أن تدرك للتو أنه من ذلك النوع الذي تجدل منه السياط ، وهما ظاهرتان تدلانك على أن الرجل من هواة السباق إن لم يكن من الفرسان محترفي الركوب .

وبعد ذلك جمع بقايا عوينته المحطمة ، واخذ مقصا فقطع به الجزء الملوث بالدماء من الشملة – وها هي آثار المقص واضحة في طرفها – تاركا بقيتها في يد القتيلة ، بلا ريب ..

ثم ثنى صندوق الورق المقوى ووضع كل ذلك في الصحيفة ، ومعها الأشياء الأخرى التي قد تفضح أمره ، كالسكين الذي استعمل في الجريمة وغير ذلك مما يستقر الآن في قاع السين ، وجعل من الجميع لفافة كبيرة ربطها بالحبل كما ربط به ايضا تلك المحبرة الزجاجية لتكون ثقلا يرسب باللفافة إلى اعماق النهر . وبذلك اطمان إلى كل شيء، وبعد قليل كانت اللفافة تسقط في القارب . وهانت ترى يا عزيزي "جانيمار" انها قضية مثيرة ، فماذا تقول في ذلك ؟

ونظرا إلى المفتش ليرى الأثر الذي تركه حديثه في نفسه ، ولكن "جانيمار" لم يخرج عن صمته وسكونه ..

فبدأ "لوبين" يضحك ، وقال :

– إنك تبدو فريسة للغضب والدهشة معا يا صديقي ، ولكنك في نفس الوقت ترتاب في الأمر وتقول لنفسك : "لماذا يسلمني هذا المجنون "لوبين" تلك القضية بدلا من ان يحتفظ بها لنفسه ويذهب في اثرالقاتل فيجرده من الغنيمة التي فاز بهالو كان الغرض من الجريمة هو السرقة؟.." والواقع انه سؤال منطقي ، ولكني لست في فسحة من الوقت . فانا مرهق بالعمل في الوقت الحاضر إذ لدي حادث سطو في لندن ، وآخر في لوزان . وجريمة استبدال أطفال في مرسيليا .. فضلا عن انه ينبغي لي ان انقذ فتاة مسكينة يتعقبها الموت حثيثا..

وهكذا ترى أن أول الغيث قطر ثم ينهمر ! وقد قلت لنفسي :

"هب أنني عهدت بهذه القضية إلى صديقي القديم "جانيمار" ، بعد ان اكشف له عن خبيئتها ، فإنه كفيل بان يمضي فيها بنجاح حتى النهاية . وبذلك يستطيع أن يفخر على زملائه بهذا الفوز العظيم .."

وقد أسرعت بتنفيذ هذه الفكرة فبعثت إليك في الساعة الثامنة بذلك الرجل ليلقي بقشرة البرتقال في طريقك ، وصح حدسي ، فابتلعت

الطعم في يسر وكنت هنا في الساعة التاسعة ..

ونهض "لوبين" عن مقعده فانحنى امام "جانيمار" ثم واجهه بنظراته النفاذة وهو يستطرد قائلا :

- هذا كل شيء يا صديقي ، وانت الآن تعرف القصة باكملها . ولم يبق إلا ان تعرف الضحية فهي إما راقصة او مغنية في احد الملاهي الليلية ، ومن جهة أخرى يبدو ان القاتل يقطن مكانا ما بالقرب من الجسر الجديد ، والأرجح انه عند الضفة اليسرى للنهر . واخيرا فإن أمامك ادلة الجريمة وآثارها ، تستطيع أن تاخذها ، إذا شئت ، هدية مني . فإلى العمل الآن .. ولكني ساحتفظ بهذه القطعة من الشملة الحريرية حتى إذا ما احتجت يوما إلى مطابقة جزء بها فعليك أن تحضر إلى هنا الجزء الآخر الذي سيجده البوليس في يد القتيلة أو حول عنقها . أحضره إلي بعد اربعة اسابيع ، اي في اليوم التاسع والعشرين من ديسمبر ، في الساعة العاشرة من الصباح ، ويمكنك أن تثق بانك ملاقيني في هذا الموعد ..

ولا تخش شيئا . فإن الأمر جاد يا رفيق صباي ، واقسم لك على ذلك .. فليس فيه خدعة أو مزحة ويمكنك ان تمضي فيه قدما . أوه إنني بهذه المناسبة انصح لك أن تكون على حذر شديد عندما تقبض على صاحبنا ذي العوينة الزجاجية ، فإنه شديد المراس ، كما انه أعسر يستخدم يده اليسرى . والآن . وداعا يا صديقي ، واتمنى لك حظا سعيدا ..

ودار "لوبين" على عقبيه واتجه إلى الباب ففتحه واختفى وراءه قبل أن يفيق "جانيمار" من دهشته . ولكنه ما لبث أن اندفع خلفه ، وعندئذ وجد أن مقبض الباب يابى أن يدور في يده ، بلعبة آلية لم يفهم كنهها واستغرق منه نزع القفل عشر دقائق كما لبث عشرا أخرى في نزع قفل الباب الخارجي ..

فلما هبط الدرج بعد ذلك كان قد تخلى عن كل أمل في اللحاق بـ "لوبين" .

والواقع انه لم يفكر في ذلك ، فإن "لوبين" كان يوحي إليه بشعور عجيب ، هو خليط من الرهبة والحقد ، والإعجاب الخفي .. كما أوحت إليه غريزته انه على الرغم من جهوده المضنية ، وإصراره على الاستمرار في هذا النضال ، فلن تتاح له قط فرصة التغلب على هذ الخصم العنيد . ولم يكن يطارده إلا بدافع من الواجب والكبرياء ، وهو في خشية دائمة من ان يقهره ذلك الثعلب الماكر ويسخر منه ويجعله موضع هزء الجماهير التي تتوق إلى الضحك من هزيمة كبير المفتش..

وكانت قضية الشملة الحمراء تبدو له مريبة . وعلى الرغم من انها تلوح رائعة في أكثر من ناحية واحدة ، فإنها مع ذلك بعيدة الاحتمال كما أن نظرية "لوبين" في وصف الجريمة وهي نظرية ، منطقية سليمة ، لن تلبث أن تنهار من أساسها إذا عرضها المرء لاختبار دقيق..

فلما بلغ "جانيمار" إدارة البوليس في شارع أورفيفر ، كان قد اعتزم أن يعتبر ذلك الحادث الذي مر به كان لم يكن .

ونهب إلى إدارة المباحث الجنائية ، وهناك ساله احد زملائه :

- هل رأيت الرئيس ؟.

- كلا .

- لقد كان يسال عنك الآن ..

- آه ! هل سال عني حقا ؟

- أجل ، ويحسن أن تلحق به ..

- أين ؟..

- في شارع برن . فقد حدثت هناك جريمة قتل في الليلة الماضية ..

- اوه !. ومن المجني عليه ؟

- لست أعرف تماما . ولكن يبدو انها مغنية في ملهى ليلي ..

فلم يفه "جانيمار" إلا بكلمة واحدة :

- يا إلهي !

وبعد عشرين دقيقة كان أمام منزل الجريمة ..

وكانت الضحية وهي معروفة في الأوساط الفنية باسمها المسرحي (جيني سافير) تقطن في مسكن صغير في الطابق الثاني من أحد منازل شارع برين.. فصعد "جانيمار" مع أحد رجال الشرطة ومضى إلى حجرة نوم صغيرة كان المحققون مجتمعين فيها ومعهم الطبيب المحلي ومسيو "ديدوي" مدير البوليس ..

واجفل "جانيمار" إذ وقعت عيناه على الحجرة لأول وهلة ، فقد رأى فوق إحدى الأرائك جثة امرأة شابة تضم يديها في عنف على قطعة من الحرير الأحمر !. كما كان في إحدى كتفيها جرحان كبيران تحيط بهما الدماء المتجمدة بينما ارتسمت على وجهها الأزرق الداكن علامات الفزع الشديد وكان الطبيب قد فرغ لتوه من فحص الجثة فقال :

- لقد أسفر هذا الفحص التمهيدي عن نتائج واضحة جلية ، فقد طعنت الضحية بخنجر مرتين ثم خنقت بعد ذلك ، إذ إن السبب المباشر للموت هو الاختناق .

فغغم "جانيمار" ثانية : يا إلهي ! .

وهو يذكر كلمات "لوبين" والصورة التي رسمها للجريمة .

واعترض المحقق قائلا:

- ولكن العنق لا يحمل اي اثر يدل على الخنق ؟.

فاجاب الطبيب :

- يحتمل انها خنقت بمنشفة او منديل او نحو ذلك .

فقال مدير البوليس :

- الأرجح انها خنقت بهذه الشملة الحريرية التي كانت المجني عليها

تلفها حول عنقها ، والتي بقيت قطعة منها كانها تعلقت بها بكلتا يديها وهي تدافع عن نفسها .

فقال قاضي التحقيق :

- ولكن لماذا بقيت هذه القطعة فقط ؟. وأين ذهبت بقية الشملة ؟

- لا ريب أنها كانت ملوثة بالدماء ، فاخذها القاتل معه ، إذ يمكن أن ترى آثار المقص وقد اعمل فيها في عجلة .

فغمغم "جانيمار" مرة ثالثة . يا إلهي !.. لقد راى "لوبين" الوغد كل شيء دون أن يرى شيئا .

بينما كان قاضي التحقيق يقول :

- وماذا بشان الدافع للجريمة يا مسيو "ديدوي" . اظن انه شديد الوضوح فإن الدواليب جميعا محطمة والأدراج مقلوبة . ولكن ما الذي كان يبحث عنه القاتل ؟

فاجاب مدير البوليس :

- إنني أستطيع ان افترض شيئا واحدا استنتجته من اقوال الخادمة فإن القتيلة كانت تستمتع بشهرة ذائعة بسبب جمالها لابسبب براعتها في الغناء ، وقد ذهبت إلى روسيا منذ عامين وأحضرت معها ياقوتة زرقاء نفيسة يبدو أنها اهديت إليها من أحد عظماء رجال البلاط الروسي . ومنذ ذلك الحين كانت شديدة الزهو بهذه الياقوتة رغم انها لم تكن تتحلى بها قط بدافع من الحرص والحذر . ولذلك يبدو لي أننا لانبتعد كثيرا عن الحقيقة إذا افترضنا أن هذه الياقوتة الزرقاء هي سبب الجريمة .

- وهل تعرف الخادمة المكان الذي كانت سيدتها تضع فيه الجوهرة؟.

- كلا .. لم يكن أحد يعرفه . كما أن هذه الفوضى الضاربة اطنابها في الحجرة تدل على أن القاتل بدوره لم يكن يعرف ذلك المكان .

- سوف نسال الخادمة عما تعلمه .

ولمح المسيو "ديدوي" "جانيمار" في ركن الحجرة فخف إليه قائلا :

إنك تبدو شديد الضيق يا "جانيمار". فماذا هناك ؟..
هل ترتاب في شيء ما ؟.
- كلا .. لاشيء يا سيدي الرئيس .
- واأسفاه !. سوف يكون أمامنا حساب عسير في الإدارة . فإن هذه إحدى تلك الجرائم التي فشلنا في اكتشاف مرتكبها . ولكننا نريد القاتل هذه المرة سريعا ! - إنه عمل شاق أيها الرئيس .
- ولكن ينبغي أن نقوم به . أصغ إلي يا "جانيمار" ، فقد علمنا من المعلومات التي ذكرتها الخادمة أن "جيني سافير" كانت تحيا حياة مستقيمة لاغبار عليها. ولكنها منذ شهر اعتادت أن تستقبل كثيرا بعد عودتها من الملهى الذي تعمل فيه ، أعني في منتصف الساعة الحادية عشرة مساء ، رجلا يبقى معها إلى منتصف الليل . وقد قالت الخادمة عنه إنه رجل أنيق الثياب وأن سيدتها أخبرتها أنه يريد أن يتزوج منها . ولكن هذا الرجل كان حريصا أشد الحرص على الايراه أحد ، فكان يرفع ياقة معطفه ويرخي طرف قبعته على عينيه عندما يمر بحجرة البواب ، كما اعتادت "جيني سافير" أن تصرف خادمتها حتى قبل حضوره . وهذا هو الرجل الذي يجب أن نعثر عليه ..
- ألم يترك أثرا ما ؟.
- مطلقا ولا ريب أننا نواجه مجرما عريقا في الإجرام ، أعد جريمته في إتقان وارتكبها وهو موقن بأنه لن يتحمل تبعتها ، وسوف يكون القبض عليه فخرا لنا جميعا ، وإني معتمد عليك في ذلك يا عزيزي "جانيمار" .
- هل تعتمد علي أيها الرئيس ؟ حسنا سوف نرى .. سوف نرى . سوف نرى . ولكنني ..
وكان شديد الانفعال حتى دهش المسيو "ديدوي" ونظر إليه متسائلا، بينما استطرد المفتش :
- ولكني ، ولكني أقسم . هل تسمعني أيها الرئيس ؟
إنني أقسم ..

- ما هذا يا عزيزي ؟
- لا شيء . سوف نرى يا سيدي . سوف نرى ..
ولم يتم "جانيمار" عبارته إلا بعد أن غادر المكان بمفرده استطرد مغمغما وهو يقرع الدرج بقدمه في عنف :
- ولكني اقسم بان اقبض على الجاني بوسائلي الخاصة فقط ، دون أن استعين بشيء من الأدلة التي زودني بها ذلك الوغد .
وثارت أعصابه ضد "لوبين" ، كما اشتد هياجه واضطرابه لهذه القضية التي كان عليه أن يصل إلى أعماقها الغامضة بمفرده ، فراح يسير في الطرقات على غير هدى وهو يجهد عقله في تركيز أفكاره قليلا لعله يكتشف بين الحقائق الغامضة دليلا خفي عن الجميع ، ولم يحدثه "لوبين" عنه ، يستطيع أن يهتدي به ، ويقوده إلى النجاح .
وتناول غداءه في أحد المشارب ، ثم استأنف جولته ، وإذا به يقف بغتة ذاهلا ، مشدوها ، وقد استبد به الانفعال و الضيق ، فقد وجد نفسه في شارع سيرين أمام المنزل ذاته الذي جذبه إليه "لوبين" منذ ساعات قليلة ، وقد ساقته إليه مرة أخرى قوة أشد من إرداته . فقد كان حل اللغز يقبع هناك وهناك فقط توجد عناصر الحقيقة ، ومهما يقل أو يفعل فإن استنتاجات "لوبين" كانت من الدقة والوضوح بحيث لم يعد ثمة مناص من أن يتغلب على كبريائه ، على الرغم من ضيقه لهذه الظاهرة العجيبة الخارقة من مظاهر بعد النظر والبصيرة ، وأن يتناول القضية من حيث تركها خصمه .
وتخاذل "جانيمار" ، وتلاشت مقاومته ، فراح يصعد طوابق المنزل الثلاثة ، وكان باب المسكن مفتوحا ، والأدلة لاتزال مكانها فوق المائدة لم يقربها أحد ، فتناولها ووضعها في جيبه وانصرف .
ومنذ تلك اللحظة راح يعمل بطريقة آلية وهو مسوق بسيطرة ذلك السيد الذي لا يملك إلا أن يطيعه .
ولما كان المعتقد أن القاتل المجهول الذي يبحث عنه يقيم في مكان بالقرب من الجسر الجديد فإن من الضروري أن يبحث عن احد المحال الكبرى لبيع الفطائر بين الجسر وشارع برن ، من المحال التي تفتح في

اثناء الليل ، ولم يستغرق ذلك وقتا طويلا ، فسرعان ما كان صاحب متجر كبير بالقرب من محطة سان لازار يريه نوعا من صناديق الورق المقوى مماثلا في الشكل والصنف لذلك الذي يقتنيه "جانيمار" ، كما أن إحدى فتيات المتجر ذكرت انها باعت في الليلة الماضية بعض الفطائر إلى سيد كان وجهه يكاد يختفي بين ياقة معطفه وطرف قبعته ، غير انها استطاعت أن ترى العوينة التي يضعها .

فقال المفتش لنفسه : ها قد صحت فراسة ذلك الوغد في احد الأدلة مرة اخرى . فالرجل يضع عوينة حقا ..

ثم راح يفحص قطع الصحيفة الممزقة ، وأراها لبعض باعة الصحف الذين امكنهم ان يعرفوا في سهولة انها (التيرف المصور) . وسرعان ما خف "جانيمار" إلى إدارة الصحيفة واطلع على قائمة المشتركين واثبت في مفكرته أسماء أولئك الذين يقيمون بالقرب من الجسر الجديد وعلى الأخص الذين يقطنون منهم على ضفة النهر اليسرى .. الم يقل "لوبين" ذلك؟

وما لبث أن عاد إلى إدارة المباحث الجنائية فانتقى ستة من رجالها الأكفاء وزودهم بتعليماته . ولم تحن الساعة السابعة حتى كان أحدهم يعود إليه بانباء طيبة . فإن رجلا يدعى مسيو "بريفال" ، وهو من مشتركي "التيرف المصور" ويقطن مسكنا صغيرا بالطابق الأسفل من احد منازل شارع أوجستين ، خرج في الليلة الماضية مرتديا معطفا من الفراء ، وتناول بريده ومن بينه عدد الصحيفة من امراة البواب ولم يعد إلا بعد أن انتصف الليل بوقت طويل . وكان المسيو "بريفال" هذا يضع عوينة . وهو من هواة السباق ، بل إنه يقتني بعض الخيول التي يمتطيها بنفسه او يؤجرها للغير .

وكان الوقت الذي استغرقه هذا البحث من القصر ، والنتائج التي أمكن الوصول إليها من الدقة والموافقة لتنبؤات "ارسين لوبين" بحيث شعر "جانيمار" بالقهر والكمد وهو يستمع إلى تقرير الشرطي وعاد يفكر من جديد في تلك القوى العجيبة واسعة النطاق التي يتحكم فيها

"لوبين" ، فهو لم يصادف طول حياته - و"جانيمار" متقدم في السن حقا - مثل هذه البصيرة النفاذة الخارقة أو تلك الدقة وبعد النظر .

وذهب إلى مقابلة مسيو "ديدوي" ، فقال له :

- لقد أعد كل شيء أيها الرئيس فهل لديك أمر اعتقال ؟

- ها ؟ .. ماذا تقول ؟

- أقول إن كل شيء قد أعد للقبض على الجاني .

- هل تعرف اسم قاتل "جيني سافير" ؟

- نعم ..

- ولكن كيف ؟ .. ألا توضح لي الأمر ؟

فتردد "جانيمار" وهو يشعر بوخز ضميره ، وتورد وجهه قليلا ، ولكنه ما لبث أن قال :

- إنها مجرد مصادفة أيها الرئيس ، فقد ألقى القاتل كل ما يمكن أن ينم عليه ، في السين . ولكن بعض هذه الأشياء أمكن التقاطها وسلمت إلي ..

- ومن الذي أحضرها لك ؟

- إنه ملاح رفض أن يذكر اسمه خوفا من أن يجر ذلك عليه متاعب هو في غنى عنها . ولكني وجدت كل الأدلة التي تعوزني ، ولم يكن الأمر من الصعوبة كما توقعت .

ثم وصف المفتش كيف سار في تحقيقه والنتائج التي استخلصها من الأدلة التي عثر عليها . فصاح مسيو "ديدوي" :

- أتسمي هذا مجرد مصادفة ؟ . ثم تقول إنه كان عملا يسيرا ؟ لعمري إنها إحدى أعاجيبك الباهرة الموفقة . فهيا يا صديقي وامض في القضية بنفسك إلى النهاية . وكن على حذر ..

والواقع أن "جانيمار" كان في لهفة إلى إنهاء هذه القضية ، فصحب ثلة من رجاله وخف إلى شارع أوجستين حيث أقامهم في أماكن متفرقة حول المنزل .. وسأل حارسة الباب عن ذلك المدعو "بريفال" فعلم منها أنه يتناول طعامه في الخارج ولكنه يعود بعد العشاء ليمضي برهة في المنزل قبل أن يخرج ثانية .

وما كادت الساعة تشرف على التاسعة حتى أومأت الحارسة إلى

"جانيمار" – وكانت ترقب الطريق من نافذتها – فارسل إلى رجاله صفيرا خافتا ، بينما كان رجل ، يلبس قبعة عالية ومعطفا من الفراء ، يسير حذاء النهر على الإفريز المقابل ثم ينحرف إلى الطريق ويتجه نحو المنزل .

ويقوم إليه "جانيمار" قائلا :

– مسيو "بريفال" .. فيما أظن ؟

– نعم .. ولكن من أنت ؟

– إن لدي مهمة لك .

ولكن قبل أن يتم عبارته لمح "بريفال" أشباح الرجال الذين يتقدمون نحوه ليحيطوا به .. وسرعان ما تراجع نحو الجدار وأسند ظهره إلى باب حانوت مغلق في الطابق الأسفل وهو يواجه مهاجميه صائحا :

– مكانكم . إنني لا اعرفكم ..

وكان يهز بيده اليمنى هراوة ثقيلة ، بينما راحت اليسرى تتسلل خلف ظهره كانه يحاول أن يفتح باب الحانوت .

وخيل إلى "جانيمار" أن الرجل يحاول الفرار من ذلك الطريق ويتسرب منه إلى منفذ سري لايعلمه فتقدم نحوه قائلا :

– دعك من هذه المهاترة ، فقد وقعت في الفخ . والأفضل أن تسلم نفسك في هدوء .

ولكنه ما كاد يمسك بهراوة "بريفال" حتى ذكر فجاة تحذير "لوبين" إذ قال له إن الرجل اعسر وأدرك أنه يمد يده اليسرى خلف ظهره ليخرج مسدسه ...

وخفض المفتش راسه في الحال إذ رأى الحركة الفجائية التي أتاها الرجل وعندئذ دوى طلقان ناريان ، ولكنهما لم يصيبا أحدا .

وفي اللحظة التالية تلقى "بريفال" لطمة عنيفة تحت ذقنه بمؤخر مسدس فهوى إلى الأرض في مكانه بلا حراك ..

وبعد التاسعة بقليل كان قد أودع السجن ..

وكان "جانيمار" يستمتع بسمعة عظيمة حتى في ذلك الحين .

ولكن القبض على قاتل "جيني سافير" بهذه السرعة وهذه السهولة ، وقد اذاعه البوليس على الجمهور فورا ، اكسبه فجاة شهرة ذائعة .

واسندت إلى "بريفال" جميع جرائم القتل التي ظل مرتكبوها مجهولين إلى تلك اللحظة . بينما كانت الصحف تتنافس في تمجيد "جانيمار" والإشادة ببسالته ..

وسرعان ما نشط التحقيق في هذه القضية ، فتبين بادئ ذى بدء أن "بريفال" مجرم عريق اسمه الحقيقي "توماس دبروك" ، كما أن تفتيش مسكنه ، وإن لم يسفر عن ادلة جديدة في القضية ، إلا ان المحققين عثروا فيه على لفة من حبال السياط من نوع مماثل للحبل الذي استعمل في حزم اللفافة ، كما عثروا على عدة خناجر تنطبق على الجروح التي وجدت في القتيلة ..

ولكن حدث في اليوم الثامن أن تغير كل شيء ..

فقد ظل "بريفال" حتى ذلك اليوم يرفض الإجابة عن الأسئلة التي توجه إليه . ولكنه يومئذ استعان بمحام ، ودفع بانه يملك دليل نفي قوي وانه كان في مساء ليلة الجريمة في ملهى الفولي برجير .

والواقع انه بالبحث في جيوب ثوب السهرة الخاص به ،

وجدت به تذكرة دخول الملهى لتلك الليلة ومعها برنامج الحفلة .

فاعترض قاضي التحقيق بان المتهم أعد هذا الدليل من قبل .

فلم يزد هذا على أن يقول :

- هل تستطيع أن تثبت ذلك ؟

وعرض المتهم على الشهود .. فقالت عاملة محل الفطائر إنها (تظن" انه نفس الرجل ذي العوينة الذي اشترى منها في تلك الليلة . كما قال حارس الباب في منزل القتيلة إنه (يظنه) نفس السيد الذي كان يتردد على "جيني سافير" ..

ولكن احدا من الشهود لم يجرؤ على ان يقرر شيئا جازما حاسما .

وبذلك لم يؤد التحقيق إلى نتيجة يمكن الركون إليها كما لم يجد المحققون دعائم قوية يقوم عليها الاتهام .

وبعث قاضي التحقيق في طلب "جانيمار" ، واطلعه على حرج مركزه قائلا - إنني لا أستطيع أن أمضي في القضية على هذا النحو ، فليس

هناك دليل واحد حاسم يستند عليه الاتهام ..

- ولكن من المؤكد يا سيدي القاضي انك في قرارة نفسك ، مقتنع تمام الاقتناع بصحة الاتهام . ولولا ان "بريفال" يشعر بجرمه لما قاوم عند القبض عليه .

- إنه يدفع ذلك بانه ظنكم لصوصا تهمون بإيذائه . كما يصر على انه لم ير "جيني سافير" قط والواقع اننا لم نجد احدا يستطيع أن ينقض هذا الادعاء .. فإذا اضفنا إلى ذلك اننا لم نعثر على الياقوتة الزرقاء المقول بسرقتها ، في مسكنه لرأيت أن الاتهام يوشك أن ينهار .

- ولكنها لم توجد كذلك في مسكن القتيلة .

- تماما .. غير ان ذلك لايقوم دليلا ضده . وكل ما نحتاج إليه يا مسيو "جانيمار" ، ويجب أن نحصل غليه سريعا إنما هو ذلك الجزء الآخر من الشملة الحريرية .

- الجزء الآخر ؟

- نعم . فإن من الجلي أن القاتل أخذه معه إذ كانت بصمات اصابعه الملوثة بالدماء قد انطبعت عليه .

فلم يجب "جانيمار" . وكان قد أمضى أياما عديدة وهو يحس بأن القضية تسير في هذا الاتجاه ، إذ لم يكن هناك دليل حاسم غير هذا الجزء الباقي من الشملة الحمراء ، وهو وحده الكفيل بإثبات التهمة على "بريفال" .

ثم إنه مسؤول عن القبض على الرجل ، وبسببه كلل رأسه باغصان المجد والفخار ، وأطرته الصحف والجماهير حتى رفعته إلى عنان السماء ولقبته بعدو المجرمين الجبار . فلو أطلق سراح "بريفال" بعد ذلك لغدا موضع السخرية والهزؤ والزراية ولكان له في ذلك عار أي عار.

ولكن من سوء الحظ أن هذا الدليل الأوحد كان في جيب "ارسين لوبين" فكيف الوصول إليه ؟

وأرهق "جانيمار" نفسه في البحث والاستقصاء ، وراح يحاول أن

يستجمع ادلة جديدة وهو يستعرض القضية من مبدئها إلى نهايتها وقضى ليالي مسهدا وهو يعاود التفكير في سر شارع برن ويدرس التقارير الوافية عن حياة "بريفال" وماضيه ، ويرسل رجاله في كل جهة يبحثون عن الياقوتة الزرقاء المختفية . ولكن ذلك كله راح بلا طائل وبغير جدوى .

وفي الثامن والعشرين من شهر ديسمبر قابل قاضي التحقيق "جانيمار" في أروقة المحكمة فاستوقفه قائلا :

- حسنا يا مسيو "جانيمار" . هل من جديد؟

- لاشيء يا سيدي القاضي .

- سوف أضطر إذن إلى حفظ القضية .

- الا تنتظر يوما آخر ؟

- وما الفائدة ؟ إننا نريد تلك القطعة الأخرى من الشملة الحمراء فهل حصلت عليها ؟

- ستكون معي غدا .

- غدا ؟

- نعم . ولكني أرجو ان تعطيني القطعة التي لديك .

- وماذا يحدث لو أعطيتها لك .

- لو فعلت فإني أعدك بأن اعيد إليك الشملة كاملة ؟

- حسنا . لك ذلك .

وسار "جانيمار" مع القاضي إلى حجرته ، فلما غادرها كانت قطعة الشملة في جيبه ، فمضى في طريقه مغمغما :

- لعنة الله عليهم جميعا ، سوف اذهب للبحث عن هذا الدليل والحصول عليه. هذا إذا افترضنا أن السيد "لوبين" ستكون لديه الشجاعة الكافية للمحافظة على موعده والوفاء بوعده .

والواقع أن "جانيمار" لم يشك لحظة في أن لدى السيد "لوبين" من هذه الشجاعة النصيب الأوفر ، ولعل هذا كان اكثر ما يسخطه ويملؤه

حنقا وغيظا . ولكن لماذا أصر "لوبين" على هذا اللقاء ؟ وما هو دوره الخفي في هذه القضية؟

وعندئذ استقر عزمه ، وهو ممتلئ غضبا وكراهية ، على أن يتخذ كل ضروب الحيطة اللازمة ، لا ليتحاشى الوقوع في شرك منصوب له فحسب ، بل ليوقع بغريمه في الشرك الآن بعد أن سنحت له الفرصة المواتية .

وفي اليوم التالي ، التاسع والعشرين من ديسمبر ، وهو اليوم الذي حدده "لوبين" ..

وبعد أن قضى الليلة باكلمها وهو يدرس ذلك المنزل العتيق في شارع سيرين ويستوثق من انه لايحوي منفذا آخر غير الباب الأمامي انذر رجاله بانهم مقدمون على مغامرة خطيرة ، وسرعان ما كان يسير على راسهم إلى ساحة المعركة .. ثم اقامهم في إحدى المقاهي امام المنزل وزودهم باوامره الصريحة :

فإذا بدا لهم من إحدى نوافذ الطابق الثالث ، أو إذا لم يعد إليهم في خلال ساعة واحدة . فعليهم أن يقتحموا المنزل ويقبضوا على أي شخص يحاول مغادرته .

وبعد أن تحقق كبير المفتشين من أن مسدسه في حالة صالحة للاستعمال وانه يستطيع إخراجه من جيبه بسهولة ، راح يرقى الدرج.

ودهش إذ رأى كل شيء على حاله كما تركه ، والأبواب مفتوحة واقفالها منزوعة . فمضى ليتحقق من أن نوافذ الحجرة الكبرى تطل على الطريق ، كما راح يجول في الحجرات الثلاثة ، دون أن يجد شخصا ما .

وعندئذ ضحك في غيظ وهو يحدث نفسه بصوت مرتفع :

– لقد خاف "لوبين" لقائي !..

فاجابه من خلفه صوت ساخر :

- لاتكن سخيفا !

فتحول "جانيمار" ورأى امامه عاملا كهلا ، يرتدي ذلك الثوب الطويل الذي يرتديه عمال طلاء المنازل ، وهو يقف في باب المسكن .

- لا ترهق راسك بالتفكير ، فإنني هو . "ارسين لوبين" وقد كنت أعمل منذ الصباح الباكر في حانوت النقاش ، وهذه هي الساعة التي ننصرف فيها للفطور ، ولكني صعدت إليك .

وراح ينظر إلى "جانيمار" في ابتسامة ساخرة وهو يقول :

- لعمري إنها لحظة نادرة أدين بها إليك ايها الصديق ، واترك في سبيلها عشرة أعوام من عمري عن طيب خاطر ، فانت تعلم انني أحبك بكل قلبي . وبعد فما الذي تراه في هذه القضية ؟ الم تكن وافية الدرس والتمحيص ؟ وهل لم انظر إليها نظرة بعيدة صادقة من الفها إلى يائها ؟ . اتراني فهمت القضية جيدا ، وتوغلت في سر الشملة الحريرية إلى اعماقه الدفينة ؟ إنني لا اقول إنه لم تكن هناك ثغرات في استنتاجاتي ، أو حلقات ناقصة ، ولكنها مع ذلك كانت نموذجا رائعا للذكاء وبعد النظر .. "جانيمار" يا عزيزي ، اي براعة هذه في ترتيب الحوادث كما وقعت ! وأي إلهام صادق في معرفة ما حدث ، وما هو يوشك أن يحدث ، منذ اكتشاف الجريمة إلى قدومك هنا للبحث عن دليل ! هل اتيت بالشملة ؟"

- نعم ، نصفها ، فاين النصف الآخر ؟

- إنه معي ، فهيا نقارنهما معا .

ونشرا جزاي الشملة على المائدة فإذا القطع الذي أحدثه المقص منطبق تمام الانطباق كما كان لوناهما وخطوطهما متفقة تماما ، فقال "لوبين" :

- ولكني أعتقد انك لم تات لذلك فقط ، فإن ما يهمك كثيرا هو أن ترى

آثار الدماء ، أليس كذلك ؟ تعال معي إذن إلى الحجرة الثانية فهي أكثر ضوءا من هذه .

وذهبا إلى الحجرة المجاورة فكانت ، أكثر ضياء حقا على الرغم من أنها لا تطل على الطريق ، وإنما على الفناء .

ووضع "لوبين" القطعة الحريرية على زجاج النافذة وقال :

- انظر ..

فاستخف الفرح بالمفتش وهو يرى علامات الأصابع الخمسة وراحة اليد مطبوعة على قطعة الحرير في وضوح ، فهذا هو الدليل القاطع الذي لايقبل شكا أو تاويلا ، إذ إن القاتل امسك بالشملة بيده الملوثة بالدماء ، نفس اليد التي طعن بها "جيني سافير" ، كي يحيط بها عنقها ليجهز عليها خنقا .

واستطرد "لوبين" :

- ثم إنها بصمة اليد اليسرى ، ومن هنا كان تحذيري لك بان القاتل شخص أعسر . الأمر الذي بدا لك من الخوارق يومئذ ، وإذا كنت أعلم انك تنظر إلي على انني أحد ذكاء واشد مهارة منك ، فإني لا اود أن تعدني ساحرا أو مشعوذا ..

وأسرع "جانيمار" يضع القطعة الحريرية في جيبه ، فاوما "لوبين" براسه موافقا وقال :

- تماما يا بني العزيز . إنها لك الآن ، فكم يسرني أن أراك سعيدا بها . وهانت ترى إنه لم يكن في الأمر شرك او خدعة ، وإنما هي رغبتي في إرضائك، وتقديم خدمة ضئيلة لك كتلك التي يتهاداها الأصدقاء . والزملاء . ثم إنني لا انكر عليك أن هناك شيئا من الفضول ايضا .. اجل، فقد أردت أن افحص القطعة الأخرى التي لدى البوليس لا تخف شيئا فسوف أعيدها إليك . ولكن مهلا لحظة واحدة .

وراح "لوبين" يعبث ، في تراخ ، بالعقدة ذات الأهداب (الشرابة)

التي في نهاية القطعة الحريرية بينما كان يصغي إليه رغم انفه وهو يقول :

- تالله ما ابرع هذه الأشياء الدقيقة التي تصنعها النساء بايديهن !

الم تلاحظ نقطة دقيقة في شهادة الخادمة ؟ لقد كانت "جيني سافير" شديدة الحذق في الحياكة ، واعتادت أن تصنع بنفسها ما يلزمها من القبعات والثياب . ولامراء في انها هي التي صنعت هذه الشملة ، فقد أدركت ذلك بنفسي من مبدأ الأمر . ولما كنت شديد الفضول كما قلت لك

فقد فحصت مليا تلك العقدة التي تنتهي بها قطعة الحرير التي وضعتها الآن في جيبك وإذا بي اجد بداخلها ايقونه معدنية صغيرة حاكتها الفتاة المسكينة داخل العقدة لتجلب لها الحظ .

اليس هذا امرا مؤثرا يا عزيزي "جانيمار" ؟.

وكان المفتش في حيرة بالغة لايرفع عينيه عن يدي رفيقه ليرى ما يصنع . فلم يجب ، بينما اردف "لوبين" :

- و عندئذ قلت لنفسي : ما أجمل أن افحص النصف الآخر للشملة ، ذلك الذي سيجده البوليس حول عنق القتيلة ، لأن هذا النصف الآخر ، وهو الذي امسك به أخيرا بين يدي الآن لابد ان يكون قد صنع بنفس الطريقة ، وسوف يمكنني أن أرى إن كان يحوي مخبا كشبيهه ، وماذا عسى أن يوجد في ذلك المخبا . ولكن انظر يا صديقي ، ألا تراه عملا رائعا ، وبسيطا ؟ إن كل ما يجب أن تفعله هو أن تاخذ ثلة من الخيوط الحريرية ، فتضفرها حول قدح صغير من الخشب في حجم البندقة ، تاركا منفذا صغيرا ، ومكانا ضئيلا في منتصفه ..

مكانا ضيقا جدا بلاشك ولكنه من السعة بحيث يمكنك أن تضع فيه أيقونة معدنية عليها رسم إحدى القديسات أو اي شيء آخر كإحدى الجواهر النفيسة . ياقوتة زرقاء مثلا!..

وفي هذه اللحظة كان قد انتهى من دفع الخيوط الحريرية التي تخفي مخبا الجوهرة جانبا ، واخرج من القدح المجوف تلك الياقوتة الثمينة فامسك بها بين إصبعيه وهو يهتف في جذل :

- أرأيت يا صديقي ؟ .. ما الذي كنت أقوله لك ؟

وكان المفتش يحدق فيه بعينين جاحظتين ، وقد احتقن وجهه ، دون أن يستطيع حراكا كانما سحره مرأى الياقوتة وهي تتالق امام عينيه وأخيرا أدرك الخدعة فصاح :

- أيها اللص القذر ! أيها الجرذ الحقير !..

وراح يردد هذا السباب في انفعال كما فعل عند لقائهما أول مرة ، بينما ظل "لوبين" ينظر إليه وعلى شفتيه ابتسامة سخرية لاذعة .. فاستطرد "جانيمار" :

- أعطني هذه ..

فمد "لوبين" يده بقطعة الحرير ، ولكن المفتش صاح في حنق :

- والياقوتة ؟.

- لا تكن مغفلا ..

- هاتها ، وإلا ..

- وإلا ماذا أيها الأحمق ؟ أتظنني اقدم لك هذه الخدمة دون مقابل ؟

- هاتها حالا ..

- الم تدرك ما كنت بسبيله طول هذه المدة ، مع أن الأمر شديد الوضوح ؟ .. لقد جعلتك تهيم على وجهك أربعة أسابيع كالأيل المذعور وانت الذي اردت ذلك .. هيا يا "جانيمار" ، هدئ روعك ، واقبل الأمر الواقع في استسلام كعادتك . كلا .. الا ترى أنني اتخذت منك كلبا للصيد طيلة هذه الأسابيع الأربعة ؟ هيا يا "روفر" . هناك فريسة زرقاء جميلة يريدها سيدك .. فاذهب وجئني بها على عجل .

احسنت يا "روفر" ! . إنك تستحق الآن قطعة من الحلوى !.

ولكن "جانيمار" لم يكن يفكر في غمرة غضبه إلافي شيء واحد . وهو أن يدعو أعوانه ولما كانت الحجرة التي يقفان فيها تشرف على الفناء فقد جهد في أن يتسلل ناحية الباب الموصل بين الحجرتين حتى يستطيع أن يسرع إلى النافذة ويشير إلى رجاله ..

واستطرد "لوبين" :

- لقد كنتم جميعا ثلة من الأغبياء ، انت والآخرون فقد لبثت هذه القطعة بين ايديكم طول هذه المدة دون أن يفكر أحدكم في فحصها ، ودون ان يسال أحدكم نفسه عن السر في تشبث الفتاة بشملتها حتى لتضعها باستمرار حول عنقها..

أجل .. لقد كنتم تعملون بطريقة الية عقيمة دون أن تفكروا في شيء أو تتوقعوا شيئا .

وفي تلك اللحظة ادرك المفتش بغيته ، إذ انتهز لحظة خاطفة تحول فيها "لوبين" عنه ، فانقض على الباب يدير الأكرة في عجلة . وما لبث

أن تنهد في حنق فإن الأكرة لم تدر في يده ..

وانفجر "لوبين" مقهقها وهو يقول :

- ولا هذا ! .. إنك لم تتوقع هذا أيضا .. فقد نصبت لي شركا دون أن تفكر في أنني قد أشم رائحته . وقبلت في خنوع أن أجرك إلى هذه الحجرة دون أن تسائل نفسك إن لم يكن لي في ذلك غرض معين ودون أن تذكر أن أكر الأبواب مجهزة بآلة خاصة . هيا يا "جانيمار" وقل لي في صراحة عن رأيك في ذلك كله..

فصاح "جانيمار" في صوت كزئير الوحش ، وهو يخرج مسدسه فيصوبه إلى وجه "لوبين" :

- هاك رأيي .. ارفع يديك فورا .

فهز "لوبين" كتفيه في غير اكتراث وهو يقترب منه قائلا :

- دعك من هذا الهراء .

- قلت لك ارفع يديك . حالا .

- وقد قلت لك بدوري أن تكف عن هذا الهراء . ألا تعلم أن هذا المسدس المخيف غير صالح للاستعمال ؟

- ماذا ؟

- إن "كاترين" العجوز ، مدبرة بيتك ، ليست إلا إحدى صنائعي .. وقد بللت رصاص مسدسك هذا الصباح بينما كنت تتناول فطورك .

فوضع "جانيمار" المسدس في جيبه واندفع نحو "لوبين" في وحشية ولكن هذا أوقفه بلطمة عنيفة على فكه .

ووقف الرجلان يتبادلان نظرات نارية .. نظرات خصمين جبارين يعتزم كل منهما أن يبطش بالآخر . ومع ذلك فقد وقفا ساكنين بلا حراك إذ عاودت "جانيمار" ذكريات نضالهما السابق ، وفشله الذريع ، وهجماته الضائعة هباء . كلا ..

إنه لايستطيع أن يفعل شيئا حياله .. فإن لهذا الشيطان قوى ساحقة تتحطم أمامها القوى البشرية مهما يكن صاحبها .

وأخيرا قال "لوبين" في دعة وكأنه يقرأ أفكارصاحبه :

- أجل . يحسن أن تدع الأشياء تسير كما هي . وانظر إلى ما جلبته عليك هذه القضية يا صديقي . المجد ، والشهرة ، والفرصة السانحة للترقية. ولاجدال في أنك لا تريد اكتشاف مكان الياقوتة الزرقاء ورأس "لوبين" المسكين معه ، فهذا جشع بالغ منك . ثم لا تنس أن "لوبين"

المسكين انقذ حياتك . اجل يا سيدي . الم يحذرك في هذا المكان نفسه من ان "بريفال" شخص اعسر ؟ . أهذه هي الطريقة التي تختارها لشكري ؟ . لعمري إنه ليس جميلا منك أن تفعل هذا يا "جانيمار" ، وإني لأحمر خجلا من اجلك !

وفي خلال ذلك كان "لوبين" قد اقترب من الباب الذي فشل "جانيمار" في فتحه ، فلما رأى المفتش خصمه يوشك أن يفر منه نسي حذره وحكمته وحاول أن يعترض سبيله ، فتلقى منه لطمة شديدة في معدته جعلته يندفع إلى الجدار المقابل ..

ولمس "لوبين" زرا خاصا في أكرة الباب ، فدارت في يده وما لبث أن فتحه وتسلل منه وهو يقهقه في جذل .

فلما افلح "جانيمار" في العودة إلى رجاله بعد عشرين دقيقة قال له احدهم :

– لقد غادر احد النقاشين المنزل في اثناء عودة زملائه من تناول فطورهم واعطاني هذا الخطاب قائلا : "اعطه لرئيسك." فلما سألته : " اي رؤسائي" ؟ . كان قد مضى في سبيله ، ولا ريب انه يعنيك ..

وفتح "جانيمار" الخطاب فوجده محررا في عجلة بالقلم الرصاص ، وإذا به : "إنني اكتب إليك هذا يا صديقي الحميم لأحذرك من عواقب السذاجة وسرعة تصديق ما تسمعه فإذا قال لك شخص ما إن رصاص مسدسك مبلل ومرطوب مهما تكن ثقتك به ، حتى ولو كان "لوبين" ، فلا تصدقه .. بل أطلق النار أولا حتى إذا ما أصاب الطلق خصمك امكنك أن تحصل على الدليل القاطع .

١ – بأن الخرطوش ليس مرطوبا .

٢ – إن "كاترين" المسكينة هي أكثر الناس أمانة وأجدرهم بالثقة ..

مع تحياتي القلبية .

ارسين لوبين

"تمت بحمد الله "

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها، وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
٢١	٢٢	٢٣	٢٤						

الإســم : ....

العنوان : ....

ص.ب ________ المدينة : ________ الرمز البريدي : ________

الدولــة : ....

مرسل طيّه شيك بمبلغ .... دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.. سارع في إرسال طلبك!

١	ارسين لوبين بوليس آداب	٢٣	الجاسوس الأعمى
٢	ارسين لوبين بوليس سري	٢٤	الجثة المفقودة
٣	الماسة الزرقاء		
٤	ارسين لوبين رقم ٢		
٥	أرسين لوبين في السجن		
٦	المعركة الأخيرة		
٧	أرسين لوبين في موسكو		
٨	أرسين لوبين في قاع البحر		
٩	أرسين لوبين في نيويورك		
١٠	اسنان النمر		
١١	الميراث المشؤوم		
١٢	اصبع أرسين لوبين		
١٣	لصوص نيويورك		
١٤	اعترافات أرسين لوبين		
١٥	الإبرة المجوفة		
١٦	الإنذار		
١٧	الباب الأحمر		
١٨	البرنس ارسين لوبين		
١٩	التاج المفقود		
٢٠	الثعلب		
٢١	الجائزة الأولى		
٢٢	الجائزة الكبرى		